روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

انتقام شبح

٥٩

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل • انتقام شبح • ٥٩ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة

٥٩

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

انتقام شبح

- هل يعود (أدهم صبرى) من العالم الآخر لينتقم من قاتليه ؟
- ما سرّ تلك الصّدمات المتتالية، التي تدمّر عصابة (فرانك جوردان)، وتجارته للمخدِّرات ؟
- تُرى .. كيف يكون انتقام المخابرات المصريَّة مِنْ قاتلي (رجل المستحيل) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وستصل في النهاية إلى مفاجأة ..



العدد القادم: دونا كارولينا

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ — حفل النصر ..

اختلط صوت تلك الفرقعة القويّة ، التى تواكب نزع سدادات (الشمبانيا) ، بضحكة مرحة ظافرة ، انطلقت من بين شفتى الملياردير الأمريكى (فرانك چوردان) ، وانطلق من فُوّهة زجاجة الشمبانيا ذلك الفَوَران التقليدى ، الذى سال على عنقها ، حينما أمالها (فرانك) ليصبّ بعضًا منها فى كأس (سونيا جراهام) ، التى ارتسمت على شفتيها ابتسامة ظافرة متكبّرة ، والبعض الآخر فى كأس (راشيل) ، التى بدت باردة ، هادئة ، على الرغم من تلك الابتسامة الساخرة التى تتألّق على شفتيها ، ثم صبّ فى كأسه بعضها ، ورفعه بوسطاه وإبهامه فى رشاقة ، وهو يهتف فى جذل :

— نخب نجاحنا فى القضاء على ذلك الشيطان المصرى .

ثم مسّ طرف الكأس بشفتيه ، ورشف منها جرعة ضئيلة ، فى حين التقطت (سونيا) كأسها فى هدوء ، ورفعتها إلى شفتيها ، مغمغمة فى سخرية :

— نجاحنا ؟!

وجرعت كأسها دفعة واحدة على عكس المألوف فى تناول (الشمبانيا) ، ثم تركت رأسها الجميل يسترخى على مسند

مقعدها ، وأغلقت عينيها وهى تشعر بحرارة قويّة تتدفّق فى وجهها ، وأخذت تسترجع أحداث إعدام (أدهم صبرى) ..

عادت بها الذكريات إلى البداية .. حينما علمت من أحد مصادرها أن (قدرى) ، خبير التزوير فى المخابرات المصرية ، ينوى قضاء إجازته السنويّة فى جزيرة (هاواى) ..

لقد قفزت إلى رأسها فجأة تلك الخطة الشيطانية ، للقضاء على خصمها اللدود ..

للقضاء على (أدهم صبرى) ..

وبدأت خطتها باختطاف (قدرى) ، وإرسال رسالة عاجلة إلى (أدهم) ، تعرض فيها عليه مبادلة حياته بحياة أعز أصدقائه ..

وقبل (أدهم) التحدّى ..

وجاء إلى (هاواى) ..

اجتاحها الانفعال وهى تتذكّر محاولاته المستميتة لإنقاذ رفيقه ، ثم استسلامه فى النهاية ، وخضوعه لها ..

وتضاعف انفعالها ، وكاد يعصف بها وهى تسترجع تلك اللحظة التى انتظرتها ، وعاشت من أجلها طويلًا ..

لحظة إعدام البطل ..

استعاد ذهنها مشهد (راشيل) ، وهى تحيط رقبة (أدهم) بأنشوطة حبل المشنقة التى أعدتها له (سونيا) ، ومشهدها وهى تجذب ذراع منصة الإعدام ، وجسد (أدهم) يتهاوى ، ويتأرجح فى حبل المشنقة ..

وتمثلت فى ذهنها تلك اللحظة التى انحنت فيها (راشيل) لتلصق أذنها بموضع قلب (أدهم) ، وصوتها وهى تقول :

— لقد مات يا (سونيا)(*) ..

لقد مات !! مات !! مات !!

ظلت الكلمة تتردّد فى رأسها ، والنشوة تغمر عروقها ، حتى انتزعها (فرانك) من ذكرياتها ، وهو يقول ضاحكًا :

— ماذا بك يا أميرتى ؟.. أين ذهبت بك أحلامك ؟

رفعت إليه (سونيا) عينيها فى دهشة ، ثم لم تلبث أن ابتسمت وهى تقول :

— لقد كنت أسترجع لحظة النصر يا عزيزى (فرانك) .

هتف (فرانك) فى مَرَح ، وهو يصبّ لها كأسًا ثانية :

— إننا نحتفل بها ياعزيزتى .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول ، (إعدام بطل) .. المغامرة رقم (٥٨) .

ابتسمت (راشيل) فى سخرية ، وهى تقول :

ـ كنت أتمنّى رؤية وجوه رجال المخابرات المصريّة ، وهم يتسلّمون التابوت فى القاهرة .

ابتسمت (سونيا) فى سخرية مماثلة ، وهى تقول :

ـ أراهنك أنهم سيبكون فى حرارة ، وهم يوارون جثته التراب .

ثم لم تلبث ابتسامتها الساخرة أن توارت خلف ذلك القلق ، الذى سيطر على ملامحها بغتةً ، وهى تشعل سيجارتها بقدّاحة من الذهب الخالص ، وتغمغم :

ـ ولكن العجيب أننى أعجز عن تصديق ذلك حتى الآن!

عقد (فرانك) حاجبيه ، وهو يسألها فى دهشة :

ـ تصديق ماذا ؟

نفثت دُخان سيجارتها فى قوة ، ولوّحت بكفها وهى تجيب :

ـ تصديق أن (أدهم صبرى) قد لقى مصرعه أخيرًا .

أطلقت (راشيل) ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

ـ اطمئنّى يا عزيزتى (سونيا).. لقد تأكّدت تمامًا من موته، قبل أن يضعه رجال (فرانك) فى التابوت الذى يحمل اسمه.

جذبت (سونيا) أنفاس سيجارتها ، وعادت تنفث الدُّخان فى عُمْق ، وهى تحدّق نحو المجهول بعينين شاردتين ، قبل أن تغمغم فى حَيْرة :

ـ ولكن لماذا لم يقاوم ؟.. لماذا لم يحاول أن يبذل أدنى جهد للفرار ونحن نقوده إلى منصة الإعدام ؟

ابتسم (فرانك) وهو يقول فى غطرسة :

ـ لم تكن أمامه أدنى فرصة للنجاة ، ورجالى يصوّبون إليه فُوّهات مدافعهم الرشاشة يا أميرتى الفاتنة .

هزّت كتفيها فى حَيْرة ، وهى تغمغم :

ـ هذا صحيح .. ولكن (أدهم صبرى) لا يستسلم بهذه السُّهولة .

أطلق (فرانك) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـ أية سهولة فى ذلك يا عزيزتى (سونيا) ؟.. لقد استسلم شيطانك المصرىّ ؛ لأنه لم يكن أمامه سوى ذلك .

عقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تغمغم فى تشكك :

ـ نعم .. ربّما ..

لم تكد تنطق بآخر حروف كلمتها ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فاتجهت ببصرها إليه ، فى حين التقطت (راشيل) سمّاعة الهاتف ، وقالت وهى تضعها على أذنها :

ـ مَن المتحدّث ؟

صمتت لحظات ، وهى تعقد حاجبيها فى اهتمام ، ثم ناولت السمّاعة إلى (سونيا) ، وهى تقول فى ضيق :

ـ هناك شخص يصرّ على التحدُّث إليك يا (سونيا) ، ويرفض الإفصاح عن اسمه .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى تساؤل ، ولكن ذلك لم يمنعها من التقاط سمّاعة الهاتف ، وهى تقول من خلالها فى صرامة :

ـ مَن المتحدّث ؟

تجمّدت الدماء فى عروقها ، وغارت من وجهها المتورّد ، حتى بات شاحبًا كوجه الموتى ، حينما نقلت إليها أسلاك الهاتف صوتًا ساخرًا ، يقول فى هدوء :

ـ إنه أنا يا عزيزتى (سونيا) .. أنا (أدهم صبرى) .

* * *





نقلت إليها أسلاك الهاتف صوتًا ساخرًا ، يقول فى هدوء :
ـ إنه أنا يا عزيزتى (سونيا) .. أنا (أدهم صبرى) ..

٢ ــ الشبح ..

جَفَلَتْ (سونيا) فى ذعر ، وانتفض جسدُها فى رُعْب وذُهول ، وهى تلقى سمَّاعة الهاتف فى خوف ، وكأنها حيَّة سامَّة ، وتنهار على مقعدها شاحبة ذاهلة ، مما جعل (فرانك) يهتف بها فى حِدَّة :

ــ مَن المتحدِّث ؟

أشارت إلى السمَّاعة المُلْقاة بأصابع مرتجفة ، واستغرقت لحظة لتتغلَّب على احتباس صوتها ، قبل أن تهتف فى صوت متحشرج مختنق :

ــ إنه (أدهم) !! (أدهم صبرى) !!

اتسعت عينا (فرانك) فى دهشة، فى حين تراجعت (راشيل) كالمَصْعوقة، واتسعت عيناها فى ذهول، وهى تهتف :

ــ ولكنّ هذا مستحيل !!

وقفز (فرانك) يختطف سمَّاعة الهاتف ، ويصرخ فيها فى حِدَّة :

ــ مَن المتكلِّم ؟

ثم لم يلبث أن رفعها عن أذنه فى حَيْرة ، وهو يغمغم فى ذهول :

ــ لقد .. لقد أنهى المكالمة .

حدَّقت (سونيا) فى وجهه لحظة ، قبل أن تهتف بنفس الصوت المختنق :

ــ هل رأيتما ؟.. إنه لم يمت .

صاحت (راشيل) فى حِدَّة وعصبيَّة :

ــ إنَّها لخدعة .. لاريبَ أنها لخدعة .

ثم رفعت عينيها إلى (فرانك) ، الذى عقد حاجبيه فى حَيْرة ، وأردفتْ فى صوت مرتفع :

ــ من المستحيل أن يكون المتكلِّم هو (أدهم صبرى) .

تبادل معها (فرانك) نظرة حائرة، ثم التفت إلى (سونيا) يسألها فى اهتمام :

ــ هل تعرَّفت صوته ؟

جفلت (سونيا) مرَّة أخرى، وحدَّقت فى وجه (فرانك) لحظة ، ثم هتفت :

ــ ياللشيطان !.. هذا صحيح .. إنه لم يكن صوت (أدهم) .. لقد كان يشبهه كثيرًا ، ولكنه لم يكن صوته .

سألها فى انفعال :

ــ هل أنت واثقة ؟

هتفت فى حماس ، وقد استعادت رَباطَة جأشها :

ــ بالتأكيد.. هذا الصوت لم يكن صوت (أدهم صبرى).

ثم أردفت فى حَنَق :

ــ ولكن المفاجأة جعلتنى أتصرَّف كالحَمْقَى .

عقد (فرانك) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ إذن فهناك مَنْ يحاول إيهامنا بأن (أدهم صبرى) حَىٌّ يُرْزَق ، ولكن مَنْ ؟!.. ولماذا ؟!

التفتت (سونيا) تسأل (راشيل) فى حِدَّة :

ــ هل غادر (قدرى) و (منى) (هاواى) ؟

مطَّت (راشيل) شفتيها ، وهى تقول :

ــ لقد غادر البدين (هاواى) فى أول طائرة ، ولكن الفتاة اختفت ، ولم نعثر لها على أثر .

هتفت (سونيا) فى غضب :

ــ أقسم أنها وراء كل ذلك .. أراهن بحياتى على ذلك .

لم تكد تتم عبارتها حتى اندفع إلى الحجرة (ليون) .. الساعد الأيمن لـ (فرانك) ، وهو شابٌّ قوىّ ، مفتول العضلات ، وقد بدا شديد الاضطراب وهو يهتف :

ــ مستر (فرانك) .. لقد رأيت شيئًا مذهلًا .

التفت إليه الجميع فى قلق ، وصاح به (فرانك) فى توتُّر :

ــ ماذا رأيت يا (ليون) ؟

ارتجف صوت (ليون) ، وهو يشير بيده إشارة مبهمة ، ويغمغم فى ارتباك واضح :

ــ لقد رأيته يا مستر (فرانك) .. رأيت ذلك الرجل الذى تدْعُونه (أدهم صبرى) .

* * *

هوَت عبارة (ليون) على رأس (فرانك) و (سونيا) و (راشيل) كالصاعقة ، فاتسعت عيونهم فى ذهول ، وقفز (فرانك) إلى (ليون) ، وجذبه من سترته فى عنف ، وهو يصرخ فى وجهه :

ــ ماذا تقول أيها الأحمق ؟.. لقد قضى (أدهم صبرى) هذا نحبه منذ ثلاثة أيام .

صاح (ليون) فى صوت مرتجف :

ــ ولكننى رأيته يا مستر (فرانك) .. رأيته بعينىَّ هاتين .

صاحت به (سونيا) فى انفعال :

ــ أين ؟.. ومَتَى ؟

لوَّح (ليون) بذراعيه ، وهو يهتف :

ـــ لقد رأيته منذ لحظات .. كان يقف أمام الفيلَّا ، وكان هادئًا وكأن شيئًا لا يقلقه ، وحينما التقطت مسدَّسى ، وأسرعت إلى خارج الفيلَّا كان قد اختفى .. اختفى كما لو كان شبحًا .

عقد (فرانك) حاجبيه فى حَيْرة وتساؤل ، فى حين شحب وجه (سونيا) ، وهى تردِّد عبارة (ليون) الأخيرة :

ـــ كما لو كان شبحًا .

ثم تعلَّقت بذراع (راشيل) ، وهى تهتف فى اضطراب :

ـــ إنه شبحه يا (راشيل) .. شبحه عاد لِينتقم منِّى .

تطلَّعت إليها (راشيل) فى دهشة ، فى حين صاح (فرانك) فى مزيج من الغضب والصرامة :

ـــ أى هُرَاء هذا ؟! .. من ذا الذى يصدِّق لُعبة الأشباح هذه .

ثم أردف فى حزم غاضب :

ـــ هناك شخص ما يحاول إرباكنا وإثارة مخاوفنا ، ولابُدَّ من كشف أمره .. لابُدَّ .

* * *

كان الظلام يخيِّم على مكتب (فرانك جوردان) ، فى تلك البناية الفاخرة فى قلب (هاواى) ، حينما تدلَّى خيط قوىّ من

فتحة صغيرة أعلى نافذة حجرة مكتبه ، وأحاطت أنشوطة صغيرة فى طرفه بمزلاج النافذة ، لتجذبه إلى أعلى ، ثم أزاحت يدٌ قويَّة النافذة فى هدوء ، وقفز عَبْرها رجل طويل القامة ، واضح القوَّة إلى داخل المكتب ، وتوقَّف لحظة يدير عينيه فى المكان فى حذر ، ليتأكَّد من أن أحدًا لم يشعر بتسلُّله ، ثم سار فى خفة القط إلى مكتب (فرانك) الأنيق ، وأخذ يفحصه فى هدوء ، ثم التقط من جيب قميصه بطاقة أنيقة ، ووضعها فوق المكتب ، على نحو لا يمكن معه للجالس خلف المكتب إلا أن يلمحها فى وضوح ، وعاد فى خطوات سريعة إلى النافذة ، وقفز منها فى رشاقة ، واختفى وسط الظلام السائد خارجها ..

* * *

عَبَرَ (فرانك جوردان) ممرَّ مكتبه الطويل فى خطوات سريعة ، تخالف عادته ، ودفع باب مكتبه فى هدوء ، وهو يسأل سكرتيرته الحسناء :

ـــ هل هناك مقابلات خاصّة اليوم ؟

أجابته السكرتيرة فى آليَّة وهدوء :

ـــ مستر (شارك) مدير أعمالك ، يطلب مقابلتك فور وصولك يا مستر (فرانك) .

لوَّح (فرانك) بذراعه فى ضجَر ، وهو يقول :

ـــ اطلبى منه الحضور على الفور .

ثم أغلق باب مكتبه خلفه ، ووقف يتأمَّله لحظة ، وهو يغمغم :

ـــ يا لَهُ من صباح !! سأبدأ يومى برؤية وجه (شارك) القبيح .

وتحرَّك فى رشاقة نحو مكتبه ، ولم يكد يستقر خلفه حتى تعلَّقت عيناه بالبطاقة الأنيقة ، فاتسعت عيناه لحظة فى دهشة ، ثم قطَّب حاجبيه وهو يغمغم فى ضيق :

ـــ ما هذا الشىء ؟

والتقط البطاقة فى هدوء ، وأخذ يقرأ الكلمات المخطوطة فوقها بحروف أنيقة ، ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يردِّدها فى صوت مسموع :

ـــ مع تحياتى .. (أدهم صبرى) .

وألقاها إلى طرف مكتبه ، ثم غمغم فى تساؤل لا يحمل أدنى أثر للخوف :

ـــ تُرى .. مَنْ الَّذى يحاول إحياء (أدهم صبرى) مرَّة أخرى ؟ .. مَنْ ؟

* * *

٣ ـــ الصدمة ..

كان (فرانك) قد عاد يلتقط البطاقة ، ويتأملها فى اهتمام ، عندما دخل (شارك) إلى حجرته ، فرفع عينيه إليه فى هدوء ، وابتسم حينما دار بخلده أن اسم (شارك) هذا ينطبق على الرجل تمامًا(*) ، فقد كان ضخم الجثة ، غليظ الملامح ، عريض الذقن ، كَثّ الحاجبين ، جاحظ العينين ، يكسو رأسه شعر مجعَّد كثيف ، أما فمه فقد كان عريضًا ، ضخم الشفتين ، يمتلئ بأسنان ضخمة حادَّة ، تشبه أنياب أسماك القرش ..

وألقى (فرانك) البطاقة جانبًا فى لامبالاة ، وهو يسأل (شارك) مبتسمًا :

ـــ ماذا تريد يا عزيزى (شارك) ؟

ارتفع حاجبا (شارك) فى دهشة ، فهو لم يعتد مثل تلك الاستقبالات الودود من زعيمه ، وافترَّ ثغره عن ابتسامة فرحة ، وهو يغمغم فى ارتباك :

ـــ لقد أتيت بشأن الصفقة الأخيرة أيها الزعيم .. صفقة (تركيا) .

(*) (شارك) : كلمة إنجليزية تعنى (أسماك القرش) .



كان (فرانك) قد عاد يلتقط البطاقة ، ويتأملها فى اهتمام ، عندما دخل (شارك) إلى حجرته ..

عقد (فرانك) حاجبيه ، وهو يغمغم فى تفكير :

ــ آه .. صفقة (تركيا) .. ماذا عنها يا (شارك) ؟

انحنى (شارك) نحو زعيمه ، وهمس فى لهجة تشف عن خطورة الأمر :

ــ لقد وصلت الشحنة ياسيّدى .

ابتسم (فرانك) ، وهو يقول فى لهجة تُوحى بالارتياح :

ــ أخيرًا ؟.. هذا رائع .

عقد (شارك) حاجبيه الكثّين ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ هل نأتى بها إلى هنا كالمعتاد ؟

أومأ (فرانك) برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء :

ــ نعم .. أريد منكم أن تأتوا بها إلى (هاواى) فجر الغد .

هتف (شارك) فى دهشة :

ــ فجر الغد ؟!.. ولكن هذا عسير التنفيذ يا سيّدى ، فلابدّ أوّلًا من إعادة تغليفها و .....

قاطعه (فرانك) فى صرامة :

ــ دَعِ الرجال يستأجرون يختًا ، وليفعلوا كل ذلك فى الطريق .

هزّ (شارك) كتفيه فى حَيْرة ، ولكنه أجاب فى استسلام :

ــ كما تأمر أيها الزعيم .

ثم استدار يزمع الانصراف ، إلّا أن زعيمه أوقفه قائلًا :

ــ هل تعلم كم يبلغ حجم صفقتنا هذه المرّة يا (شارك) ؟

ابتسم (شارك) فى زَهْو ، وهو يقول :

ــ بالطبع أيها الزعيم .. إنه عشرة ملايين دولار .

ابتسم (فرانك) ، وهو يغمغم :

ــ هذا عظيم .

وترك (شارك) يغادر مكتبه ، ثم عاد يلتقط البطاقة التى تحمل اسم (أدهم صبرى) ، وابتسم فى سخرية وهو يغمغم :

ــ وسيحدث كل هذا على الرغم منك أيُّها الشَّبح ..

* * *

أطفأت (سونيا جراهام) سيجارتها وسط منفضة ممتلئة بأعقاب السجائر المحترقة ، ونفثت آخر جرعة من الدُّخان ، وهى تضرب المِنْضَدة بقبْضتيها ، صائحةً فى ثَوْرة :

ــ هناك مَنْ يحاول إرباكنا ولا شك .

هزّت (راشيل) كتفيها فى برود ، وهى تقول :

ــ لِمَ يقلقكِ الأمر إلى هذا الحدّ ، ما دمت تعلمين أنّها خدعة .

انتزعت (سونيا) مسدّسها الصغير فى حركة مباغتة ، وصوّبته نحو (راشيل) ، وهى تقول فى عصبيّة :

ــ إنك لم تقتلى (أدهم) .. أليس كذلك ؟

حدّقت (راشيل) فى وجهها بدهشة ، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

ــ لم أقتل (أدهم صبرى) ؟!.. ياله من قول أحمق !.. وكيف فعلت هذا فى رأيك ؟.. هل تعلّقت فى حبل المشنقة بدلًا منه ؟

عقدت (سونيا) حاجبيها فى شِدّة ، ثم خفضت مسدّسها ، وهى تقول فى توتُّر :

ــ ماذا يحدث هنا إذن ؟

أجابها صوت ساخر :

ــ مجرّد خدعة سخيفة يا أميرتى .

التفتت (سونيا) إلى (فرانك) ، الذى نطق هذه الكلمات وهو يستند إلى باب الحجرة فى هدوء ، وقالت فى حِدّة :

ــ وما الغرض من هذه الخُدعة ؟

هزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— ربما كان الغرض منها إصابتنا بالجنون .

ثم التقط بطاقة (أدهم) من جيب قميصه ، وألقاها إليها ، قائلاً :

— لقد وجدت هذه على مكتبى فى الصباح .

التقطت (سونيا) البطاقة ، واتسعت عيناها فى دهشة وهى تقرأ الكلمات المدوّنة عليها ، وهتفت فى انفعال :

— ومَنْ وضعها على مكتبك ؟

مطّ شفتيه ، وهو يقول فى لامبالاة :

— لستُ أدرى ، ولكنه ليس (أدهم صبرى) بالتأكيد .

قال هذا ، وهو يلتقط قوسَهُ ، ويصوِّب أحد أسهمه إلى الهدف الدائرى ، فصاحت به (سونيا) فى حَنَق :

— كيف تبدو باردًا هكذا ؟

أطلق سهمه فى هدوء ليستقر فى مركز الهدف تمامًا ، وتطلّع إليه فى فخر وهو يقول :

— لأن ثلاثتنا نعلم بما لا يدع مجالًا للشك ، أن (أدهم صبرى) قد انتهى .. انتهى إلى الأبد .

ارتبكت (سونيا) وهى تغمغم فى حيرة :

— نعم .. نعم .. إننا نعلم ذلك .

ابتسم (فرانك) فى سخرية للحَيْرة الواضحة فى ملامحها ، والتقط سهمًا آخر ليدُسَّ نهايته فى وتر قوسه ، حينما ارتفع رنين الهاتف على بعد خطوة واحدة منه ، فالتقط سمّاعته وهو يقول فى هدوء :

— هنا (فرانك چوردان) .. مَن المتحدِّث ؟

لم يكد يسمع ما قاله محدِّثه حتى اتسعت عيناه فى ذهول ، فقفزت (سونيا) إليه ، وهى تهتف فى انفعال :

— إنه (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟

دفعها عنه فى خشونة ، وهو يهتف فى سمّاعة الهاتف :

— وكيف حدث ذلك ؟

واختلط الغضب فى ملامحه بالذهول ، قبل أن يصرخ فى ثورة :

— عليك اللعنة !! عليكم اللعنة جميعًا !!

ووضع السّماعة فى قوّة ، وهو يهتف فى غضب هائل :

— هؤلاء الأغبياء !! هؤلاء الحمقى !!

سألته (سونيا) فى توتُّر بلغ ذِرْوَته :

— مَن المُتحدِّث ؟

صاح فى وجهها غاضبًا :

— إنه (شارك).. لقد أفسد رجال السواحل صفقتنا الأخيرة، واستولَوا على ما قيمته عشرة ملايين دولار من المخدِّرات.

هتفت (راشيل) فى دهشة :

— عشرة ملايين ؟!

عقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تقول :

— ولكن كيف علم رجال السواحل بأمر الصفقة ؟

لوَّح بذراعيه فى سخط ، وهو يقول :

— لست أدرى.. لم يكن هناك من يعلم بأمر الصفقة سوى....

وبتر عبارته فجأة ، وأمسك ذراع (سونيا) فى قُوَّة ، جعلتها تهتف فى مزيج من الحَنَق والألَم :

— ماذا أصابك ؟

صاح فى حِدَّة وتوتُّر :

— البطاقة!!.. البطاقة التى وجدتها على مكتبى.. إنَّ مَنْ وضعها دسّ فى مكتبى جهاز تصنُّت.. لاريْبَ أن هذا ماحدث.

عقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تقول فى صَوْت مرتجف خائف :

— هذه العملية تحمل توقيعًا مألوفًا يا (فرانك) .. توقيع (أدهم صبرى) .

* * *

٤ — عَيْنُ النَّمِر ..

انهمك (فرانك) و(سونيا) فى فحص مكتب الأول فى اهتمام وعناية ، ثم ضرب (فرانك) سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يهتف ساخطًا :

— لا شىء .. لا توجد أيَّة أجهزة تصنُّت !

عقدت (سونيا) حاجبيها فى حَيْرة ، وهى تغمغم :

— كيف تسرَّب سرُّ الصفقة إذن ؟

لوَّح (فرانك) بذراعه فى حَنَق ، وهو يقول :

— هذا السؤال يكادُ يثير جنونى يا(سونيا) ، فلقد تعمَّدت إبدال الخطة فى اللحظة الأخيرة ، حتى أن ذلك أثار دهشة (شارك) .

التفت إليه (سونيا) فى حركة حادَّة ، وهى تسأله فى اهتمام :

— مَنْ غير (شارك) كان يعلم بذلك التعديل الأخير فى الخطة ؟

قطَّب (فرانك) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— كل الرجال العاملين فى نقل الشحنة علموا بالطَّبع ، بالإضافة إلى (ليون) ، ساعدى الأيمن .

استغرقت فى التفكير لحظة ، ثم عادت تسأله فى اهتمام :

— وهل يوجد جهاز لاسلكىّ على متن اليخت ، الذى استأجره رجالك لنقل الشحنة ؟

هتف فى سخط :

— بالطبع .. كيف تظنين أنهم قد أبلغوا (شارك) بفشل العملية إذن ؟

دسّت بين شفتيها سيجارة أنيقة فى هدوء ، وأشعلتها بقدّاحتها الذهبية ، وهى تقول :

— الأمر واضح ، إذن يا (فرانك) .. إن أحد رجالك خائن .

اتسعت عينا (فرانك) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن قطّب حاجبيه فى تفكير ، وغمغم فى توتّر :

— هذا صحيح .. لا يوجد تفسير آخر .. إن أحد رجالى خائن .. ولكن مَنْ ؟

مَنْ ؟..

★ ★ ★

تثاءبت (راشيل) فى ضَجَر ، وغمغمت وهى تتطلّع إلى ساعتها :

— لقد تأخرت (سونيا) ورفيقها طويلًا .. تُرى .. هل وجدا مايبحثان عنه ؟

وعادت تتثاءَب مرّةً أخرى ، ثم التقطت بطاقة (أدهم) ، التى ألقاها (فرانك) ، وتطلّعت إليها فى فتور ، وحرّكت شفتيها لتغمغم بكلمة ما ، لولا أن ارتفع صوت من طرف الحجرة ، يقول فى هدوء :

— مع تحيّاتى .. (أدهم صبرى) .

التفتت فى دهشة إلى مصدر الصوت ، فطالعها رجل أصلع الرأس تمامًا ، غليظ الملامح ، ابتسم وهو يقول فى زهو :

— لقد أدهشتك حِدّة بصرى .. أليس كذلك ؟

ابتسمت فى تململ ، وهى تغمغم :

— لقد أدهشتنى فى الواقع قدرتك على قراءة هذه البطاقة ، من تلك المسافة .

أشار إلى صدره فى غرور ، وهو يقول :

— إنهم يطلقون علىّ اسم (عَيْن النَّمِر) .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

— ألم يكن من الأفضل أن يطلقوا عليك اسم (عَيْن الصقر) ؟

أطلق ضحكة ممجوجة ، وهو يقول :

— صحيح أن الصقر أحدُّ بصرًا ، ولكن النَّمر يمكنه أن يترصّد فريسته فى الظلام .

غمغمت (راشيل) فى ضَجَر :

— طريف للغاية .

ثم نهضت والتقطت حقيبة يدها الصغيرة ، وهى تستطرد فى برود :

— كنت أودُّ قضاء وقت أطول معك يا (عَيْنَ النَّمِر) ، ولكننى سأخرج الآن للتنزه قليلًا فى الجزيرة .

ارتفع حاجباه ، وهو يهتف فى دهشة :

— فى الواحدة صباحًا ؟!

أجابته فى سخرية ، وهى تتخطّاه إلى الخارج فى خطوات سريعة :

— هذا أفضل من مجالسة النُّمور .

تابعها ببصره فى إعجاب ، ثم غمغم فى لهجة سوقيّة فِجّة :

— يا لها من امرأة !!

وأشعل سيجارته فى هدوء ، واستند إلى حاجز نافذة الحجرة ، يتابعها ببصره وهى تبتعد فى خطوات وئيدة ، ونفث دُخان السيجارة ، وهو يبتسم مغمغمًا :

— كَم ستَرُوق لى (هاواى) ، فى صحبة امرأة مثلها .

وفجأة .. تعلّق بصره الحاد برجل فاره القوام ، ممشوقه ، يتبع (راشيل) فى هدوء وسرعة ، فامتدت يده فى حركة غريزية نحو مسدّسه ، وهو يقطّب حاجبيه ، مغمغمًا فى توتُّر :

— مَنْ هذاالفضولىّ بحق الشّيطان ؟..... أهو ......؟

لم تكتمل عبارة (عَيْنِ النَّمِر)، بل امتدت فى شكل شهقة دهشة قويّة، حينما سقط شعاع من ضوء القمر على وجه الرجل الذى يتبع (راشيل)، وارتدَّ (عَيْنُ النَّمِر) إلى الوراء فى ذُعْر وذُهول ، وهو يهتف فى صوت لاهِث :

— ولكن هذا مستحيل !! مستحيل !!

★ ★ ★

كان (فرانك) يجلس على مكتبه ، وينقر سطحه بأصابعه فى عصبيّة واضحة ، حينما غمغمت (سونيا) فى جِدّة :

— لو أنى فى موقفك ، لأطلقت النار على رجالك كلهم .

أجابها فى غلظة :

— كُفّى عن سخافاتك يا (سونيا) .. الأمور لاتواجه بمثل هذه التصرُّفات الحَمْقاء .

عقدت حاجبيها فى غضب ، وأرادت أن تصارحه برأيها فى عبارته ، لولا أن ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فأسرع يلتقط سمّاعته فى سرعة ، ويقول فى توتُّر :



وفجأة .. تعلّق بصره الحاد برجل فارع القوام ، ممشوقه ، يتبع (راشيل) فى هدوء وسرعة ، فامتدت يده فى حركة غريزية نحو مسدسه ..

ـــ هنا (فرانك جوردان) .. مَنِ المُتحدِّث ؟

لم يكد يستمع إلى ماقاله محدِّثه حتى اتسعت عيناه فى دهشة ، وهتف فى انفعال :

ـــ هل أنت واثق يا (عَيْنَ النَّمِر) ؟

وارتجفت أصابعه فى عصبيَّة ملحوظة ، جعلت (سونيا) تقفز من مقعدها ، وتقرِّب أذنها من سمَّاعة الهاتف فى لهفة وفضول ، قبل أن يهتف (فرانك) فى حَنَق :

ـــ بالطبع أيها الغبى .. اتبعه .. اتبعه واقتله إذا لزم الأمر .

ثم أغلق السمَّاعة فى قوَّة ، فهتفت به (سونيا) وهى تكاد تحترق لهفةً :

ـــ ماذا هناك ؟

رفع (فرانك) إليها عينيه فى غضب ، وأجابها فى عصبيَّة ، وبصوتٍ مرتجف النبرات :

ـــ إنه (عَيْنُ النَّمِر) ، يقول إن شخصًا ما قد تبع (راشيل) فى أثناء خروجها من الفيلَّا .

هتفت تسأله فى فضول قاتل :

ـــ وهل رآه ؟ هل تعرَّفه ؟

حدَجها (فرانك) بنظرة صامتة ، قبل أن يجيب فى بطء :

ـــ نعم .. إنه (أدهم) ! . (أدهم صبرى) .

* * *

٥ ـــ من عالم الموتى ..

لم يكد (عَيْنُ النَّمِر) يتلقَّى أمر زعيمه بتتبع (أدهم) حتى ألقى سمَّاعة الهاتف ، وشَهَر مسدَّسه وهو يقول فى شراسة :

ـــ لو أنك عُدت من عالم الموْتى أيها الشيْطان المصرىّ ، فسأعمل على إعادتك إليه على وجه السُّرعة .

ولم يحاول إضاعة الوقت بالذهاب إلى باب الفيلَّا ، بل قفز من النافذة ، وانطلق يعدُو محاولًا اللُّحاق بالرجل الذى يتبع (راشيل) ، ولم تمض لحظات حتى رآهما فى نهاية الطريق ..

كانت (راشيل) تسير فى خطوات سريعة ، والرجل يتبعها فى خطوات واسعة متَّزنة ، وكأنه يسعى جاهدًا لألَّا تشعر بمطاردته لها ، وأسرع (عَيْنُ النَّمِر) الخطَا ، حتى لا يفقد أثرهما ، وهو يغمغم فى شراسة :

ـــ إنَّه هو .. إنه هو ولا شكَّ .. ولكن كيف نجا من الموت ؟.. لقد شُنِقَ أمام عَيْنَىْ (سونيا) و(راشيل) ، ولقد شاهدْتُ جثته بنفسى .

تحوَّل سيره إلى مايشبه العَدْوَ ، حينما انحرفت (راشيل) فى طريق جانبىّ ، ولحق بها الرجل فى خطوات سريعة ، واختفيا عن بصره ، فعقد حاجبيه فى حَنَق ، وهو يغمغم :

ـــ لن أطيل هذه المطاردة الحمقاء .. سأقتله على الفور .

ولكنه لم يكد ينحرف فى الطريق نفسه حتى توقَّف مبهوتًا ، فقد كان الطريق خاليًا تمامًا ، ولم يكن هناك أدنى أثر لـ (راشيل) أو الرجل ..

وتوتَّرت يد (عَيْنِ النَّمِر) الممسكة بمسدَّسه ، وهو يدور حول نفسه فى عصبيةٌ ، قبل أن يهتف فى حَنَق :

ـــ أين ذهبا ؟.. إنهما ليسا شبحين بالتأكيد .. أين ذهبا ؟

وتحوَّل حَنَقُه وتوتُّره إلى انتفاضة فزع مفاجئة ، حينما سمع مِنْ خلفِه صوتًا هادئًا ، ساخرًا ، يقول :

ـــ خلفك أيها الوغد .

وبدون لحظة واحدة من التردُّد أو التفكير ، استدار (عَيْنُ النَّمِر) فى سرعة ، وأطلق النار على مصدر الصَّوْت ..

* * *

رفع مدير المخابرات المصريَّة عينيه فى حزن إلى المقدَّم (خالد) ، الذى دَلَف إلى مكتبه فى هدوء ، وسأله فى صوت تغلب عليه رنَّة الأسَى :

ـــ هل تسلَّمت جثة (أدهم صبرى) ؟

تردَّد المقدَّم (خالد) لحظة ، قبل أن يغمغم فى صوت خافت

— لقد تسلَّمت التابوت الذى يحمل اسمه يا سيِّدى .
أشاح مدير المخابرات بوجهه ، وهو يقول فى ألم :
— كيف قتلته (سونيا جراهام) ؟
هزَّ (خالد) كتفيه ، وهو يغمغم فى تردُّد :
— لا يمكننى أن أجيب عن هذا السؤال ياسيِّدى .
أومأ المدير برأسه فى تفهُّم ، وهو يقول :
— بالطبع يا (خالد) .. معذرةً ياولدِى ، كان ينبغى توجيه هذا السؤال للطبيب الشرعىّ ، فهو المتخصِّص و .....
قاطعه (خالد) فى خُفُوت :
— أخشى أنه حتى الطبيب الشرعى لن يمكنه الإجابة عن هذا السؤال ياسيِّدى .
حدَّق المدير فى وجهه فى دهشة ، ثم هتف فى استنكار وجزع :
— يا إلهى !!.. هل مزَّقته (سونيا) إرْبًا ؟
تنهَّد (خالد) من عمق ، قبل أن يقول :
— لقد كان التابوت خاليًا ياسيِّدى .
مضت لحظة من صمت مشوب بالذُّهول ، ومدير المخابرات يحدِّق فى وجه (خالد) بعينين بلغتا قمة اتساعهما ، قبل أن يهتف :
— ماذا يَعْنِى هذا بحقِّ السماء ؟

هزَّ (خالد) كتفيْه فى حَيْرة ، وقال :
— لست أدرى ياسيِّدى ، ولكن أوراق الشحن نفسها تؤكد أنه تابوت خالٍ .
عقد مدير المخابرات حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :
— عجبًا !!.. إذن فمن أرسل التابوت كان يعلم أنه خالٍ !
ثم التفت إلى (خالد) يسأله فى حَيْرَة :
— أين ذهبت جثة (أدهم) إذن ؟
لم يجب (خالد) ، فقد ارتفع صوت مفاجئ من مدخل الحجرة يقول :
— أنا أحمل الجواب ياسيِّدى .
التفت (خالد) ومدير المخابرات إلى مصدر الصوت ، ثم هتف الأخير فى خفة :
— (قدرى) ؟!.. مرحبًا بعودتك سالمًا .. متى غادرت (هاواى) ؟.. ومتى وصلت إلى هنا ؟
أجابه (قدرى) وهو يصافحه فى هدوء :
— لقد غادرت (هاواى) منذ ثلاثة أيام ياسيِّدى ، ولكننى لم أصل إلى القاهرة إلَّا منذ ساعة واحدة .
هتف المدير فى دهشة :

— وهل استغرقت رحلتك ثلاثة أيام ؟
هزَّ (قدرى) كتفيه المكتظتين ، وأجاب فى إرهاق :
— لقد قضيت بضع ساعات فى الولايات المتحدة ياسيِّدى .. من أجل عمل هامّ .
عقد المدير حاجبيه ، وهو يغمغم :
— عمل هام ؟!.. أى عمل هذا يا (قدرى) ؟
تنهَّد (قدرى) وهو يقول :
— سأخبرك بكل شىء ياسيِّدى .. سأخبرك بكل تفاصيل قصة إعدام (أدهم صبرى) ..

* * *

انطلقت رصاصة (عَيْنِ النَّمِر) نحو مصدر الصوت الذى تحدَّث من خلفه تمامًا ، ولكن ذلك المصدر انحنى بحركة سريعة ، وتفادى الرصاصة فى مهارة ، ثم عاد ينتصب فى رشاقة ومرونة ، وأطاح بمسدَّس (عَيْنِ النَّمِر) بركْلَة قويَّة من قدمه اليُمْنَى ، ثم أطلق قبضة فى أنف (عَيْنِ النَّمِر) ، وفجَّر الأخرى فى وجهه بسرعة كبيرة ..
وسقط (عَيْنُ النَّمِر) أرضًا ، وسالت الدماء منْ أنفه وأسنانه المحطَّمة فى غزارة ، ولكن ذلك لم يَمْنَعْه من التطلُّع إلى وجه خصْمِه فى ذُهول ، وهو يغمغم :

— كيف عُدْتَ من عالَم المَوْتى ؟
أجابه خصمه فى صوت ساخر :
— ومن قال إننى عُدْتُ أيُّها الوغد ؟.. أنا مجرَّد شبح .
اتسعت عينا (عَيْنِ النَّمِر) فى ذهول ، وهو يردِّد :
— مجَّردُ شبح .
ثم قطَّب حاجبيه فى سُرْعة ، وهو يقول :
— ولكنَّ صوتك .. إنَّه .....
قاطعه خصمه فى سخرية :
— إنها ضريبة العَوْدة من عالَم المَوْتى أيُّها الوغد .
وفى حركة سريعة قويَّة ، هوَت قبضته على فكّ (عَيْنِ النَّمِر) كالقنبلة ، لتلْقِىَ به فى عالَم ثالث ، عالَم الغَيْبُوبَة ..
ورفع الخصْمُ عينيه إلى نافذة صغيرة فى الدوْرِ الثالث من البناية المجاورة ، وغمغم فى صَرَامة :
— والآن جاء دَوْرُكِ يا (راشيل) .

* * *

تسلَّق الرجل جدار البناية فى مرونة ومهارة ، متشبِّثًا بنتوآت الأحجار المنقوشة التى تزيِّن الجدار ، وبدا وكأنه يبذل جهدًا شديدًا ، حتى وصل إلى نافذة الطابق الثالث المفتوحة .. فقفز



وتسلّق الرجل جدار البناية فى مرونة ومهارة ، متشبثًا بنتوآت الأحجار المنقوشة التى تزيّن الجدار ، وبدا وكأنه يبذل جهدًا شديدًا ..

عَبْرها فى مرونة وخفّة ، وتوقّف لحظة فى حَذَر ، ثم تقدّم إلى الأمام فى هدوء .. ولم يكَدْ يخطو بضعَ خطُوات ، حتى أضيئت الحجرة فجأة ، وسمع صوتًا يقول فى صرامة :

— ألقِ سلاحك إذا ماكنت تحمل سلاحًا، واستدِرْ فى هدوء، وحَذارِ من أن تبدو منك حركة واحدة، فأنا لا أخطئ الهدف.

استدار الرجل فى هدوء ، وما أن واجه الصوت حتى اتسعت عينا كل منهما فى ذهول ، وهتف هو :

— (مُنى) ؟!

أمّا (مُنى) ، فقد تراجعت فى دهشة ، وهى تهتف :

— (أدهم) ؟!.. هذا مستحيل!!

ولكنها لم تلبث أن استطردت فى حِدّة :

— ولكنك لست (أدهم) .. مَنْ أنْت ؟

تنهّد الرجل ، وقال فى أسَف :

— صدَقْتِ يا (مُنى) .. أنا لستُ (أدهم صبرى) .

وفى هدوء ، انتزع من فوق وجهه ذلك القِناع الرقيق ، الّذِى يحمل ملامح (أدهم صبرى) ، واستطرد فى حُزْن :

— وكَم يؤسفنى ذلك .. لقد انتهى (رجل المستحيل) إلى الأبد .

* * *

٦ — البديل ..

وقفت (منى) تحدّق لحظة فى وجه الرجل الذى ينتحل شخصية (أدهم) ، ثم هتفت فى دهشة :

— (سمير) ؟!.. ولكن لماذا تنتحل شخصية (أدهم) ؟

أجابها فى مرارة وغضب :

— حتى أنتقم من قاتلى (أدهم) ، وأجعلهم يصابون بالجنون ، حينما يرون ضحيتهم وقد عادت مِنْ عالم الموْتى .

هتفت فى دهشة :

— ولكن لماذا ؟

حدّق فى وجهها فى دهشة مماثلة ، وهو يقول :

— أتسأليننى هذا السؤال يا (منى) ؟.. لقد كان ينبغى لنا أن نتعاون معًا لتحقيق هذا الانتقام .. إننا نعلم جميعًا نوع العاطفة التى كانت تربطك بـ (أدهم) ، إلى جوار عاطفة زمالة العمل ، وأنا تلميذ (أدهم) الوحيد ، ولقد كان يتولّى تدريبى منذ عملنا معًا فى قضية (سيرجى كوربوف)(*) ، ولم يكن باستطاعتى ترك قاتليه ينعمون برغد العيش بعد مصرعه ..

(*) راجع قصة (سم الكوبرا) .. المغامرة رقم (٥١) .

انتبهت (مُنى) إلى أنها ما زالت تصوّب مسدسها ، فخفضته وهى تقول :

— أنت على حقّ يا (سمير) .

عقد (سمير) حاجبيه ، وهو يسألها فى دهشة :

— ولكن ماذا تفعلين هنا ؟.. أين (راشيل) ؟

تنهّدت قبل أن تقول فى هدوء :

— لقد انتهت (راشيل) .

سألها فى دهشة :

— هل قتلتها ؟

تجاهلت سؤاله وهى تسأله فى اهتمام :

— وماذا فعلت وأنت تنتحل شخصية (أدهم) ؟

هزّ كتفيه مغمغمًا :

— مجرّد بعض محاولات لإلقاء الرُّعب فى قلبَىْ (سونيا) ورفيقها (فرانك) ، مثل الحديث إلى (سونيا) هاتفيًا ، وإلقاء اسم (أدهم صبرى) ، ووضع بطاقة أنيقة تحمل اسم بطلنا الراحل على مكتب (فرانك) ، وتعمدى الظهور فى هيئة (أدهم) أمام بعض رجال (فرانك) و .....

قاطعته (مُنى) فى حِدّة أدهشته :

— يا إلهي !!.. كدت تفسد كل شيء يا (سمير) .

حدّق (سمير) في وجهها ، وهو يغمغم في حَيْرة :

— أفسد كل شيء ؟!.. ماذا تعْنِين يا (مُنى) ؟

مالت نحوه ، وهي تقول في حَنَق :

— لقد بذلت أقصى جهدك لتؤكد لـ (سونيا) و (فرانك) أن (أدهم) ما زال حيًّا ، في حين كان ذلك آخر مايريده (أدهم) نفسه .

اتسعت عينا (سمير) عن آخرهما ، وهو يغمغم في ذهول :

— ماذا تعْنِين يا (مُنى) ؟

تراجعت وهي تقول في هدوء :

— ألم تفهم بعد يا (سمير) ؟.. إن (أدهم) لم يمت .. إنه حيّ .. حيّ يُرْزَق ..

* * *

بدلًا من أن نستمع إلى (مُنى) ، وهي تقصّ الأمر على مسامع (سمير) ، الذى اجتاحه انفعال جارف ، من فرط ذهوله وإعجابه ، دَعُونا ننتقل عَبْرَ الزمان إلى الماضي القريب ، دون أن نتجاوز حدود المكان ..

دَعُونا نعود إلى نفس الحجرة التي يجلس فيها الآن (سمير) و (مُنى) ..

إلى اللحظة التي احتوَى فيها (أدهم صبري) وجه (مُنى) بين راحتيه ، وقال في حنان :

— ثِقِي بي ياعزيزتي .. ثِقِي بي ..

صاحت (مُنى) ، وهي تبكي في مرارة :

— كيف تريدُ منّي أن أثِق بك ، وأنت تنوى تسليم نفسك لقمةً سائغة لأشرس أفعى بشرية في هذا الكون ؟.. إنها ستقتلك بلا رحمة .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— ومن قال إننا سنسمح لها بذلك يا (مُنى) ؟

توقّفت دموعها عن الانهمار فجأة ، وهي تحدّق في وجهه بدهشة ، قبل أن تهتف في لهفة وأمل :

— (أدهم) !!.. إن لديك خُطّة لخداعها .. أليس كذلك؟

ابتسم ، وهو يربِّت على شعرها مغمغمًا :

— بالطبع ياعزيزتي .. هل كنت تظنين أنني أنوى ترْكَ عُنُقِي لـ (سونيا) بهذه البساطة ؟

ثم نهض وهو يردف في قلق :

— ولكن خُطّتي كلها ستعتمد على مهارتك أنت ياعزيزتي .

هتفت في حماس :

— سأبذل حياتي كلها من أجلك يا (أدهم) .

ابتسم في هدوء ، وهو يقول :

— ليس حياتك ياعزيزتي ، فهي أغلى عندي من حياتي نفسها .

تضرّج وجهها بحُمْرَة الخجل ، وهي تخفض عينيها مغمغمة :

— ماذا تنوى أن تفعل ؟

تنهّد وهو يقول :

— سأقلب المائدة على رأس (سونيا جراهام) ياعزيزتي .. سأستغل خُطّتها لهزيمتها .. وهذه هي قواعد اللُّعبة ..

* * *

جلست (راشيل) في حجرتها في فيلّا (فرانك جوردان) ، وهي تعاني ضجرًا شديدًا ، والتقطت علبة سجائرها ، وتناولت منها سيجارة رفيعة ، دسّتها بين شفتيها في عصبية ، وهي تغمغم :

— يا لها من عملية سخيفة .. ما كان ينبغي أن أوافق (سونيا) على خُطّتها الحمقاء هذه .. إن (أدهم صبري) لن يستسلم لها بالطبع .

كانت تغمغم بهذه الكلمات وهي تبحث عن قدّاحتها ، ففوجئت بيد تمتد إليها ، وتشعل سيجارتها بقدّاحة ذهبية أنيقة ، فالتفتت إلى صاحب اليد ، ولم تكد تراه حتى أطلقت شهقة ذُعر ودهشة ، وتراجعت في حركة حادّة ، وتركت سيجارتها المشتعلة تسقط من بين شفتيها ، وهي تهتف :

— (أدهم صبري) ؟!.. كيف وصلت إلى هنا ؟

انحنى (أدهم) في هدوء ، والتقط سيجارتها المشتعلة ، ومدّ يده بها إليها ، وهو يقول في سخرية :

— هذا السؤال يثير مَلَلي دوْمًا ياعزيزتي (راشيل) ، فالتسلُّل إلى أي مكان في العالم ليس أمرًا بالغ الصعوبة كما تتصوّرون دائمًا .

أسرعت يدها تحاول التقاط مسدّسها ، إلّا أن قبضة (أدهم) التفّت حوْل معصمها في سرعة وقوّة ، وهو يقول في سخرية :

— ليس من اللياقة أن تواجهي ضيفك بمسدّس ياعزيزتي (راشيل) :

— ارتجفت (راشيل) ، وهي تغمغم في ذُعر :

— ماذا تُرِيدُ منّي ؟

ترك معصمها ، وجلس قُبالتها في هدوء ، وهو يقول في بساطة ، وكأنه يتحدّث إلى صديق حميم :

— لقد شاء القدر أن يمنحك صوتًا يماثل صوت زميلتي (مُنى) تمامًا ، ولقد أحسنت (سونيا) استغلال ذلك لخداعي في المرّة السابقة ، وأنا أنوى عكس الأمور هذه المرّة ، واستغلال ذلك التشابه الصوتيّ لِصالِحِي .

عقدت حاجبيها ، وهي تسأله في ذُعر :

— ماذا تعْني ؟

تناول من جيب قميصه رشّاشة صغيرة ، وهو يبتسم قائلًا في غموض :

— ستعلمين كل شيء عمّا قريب ياعزيزتي (راشيل)

أدركت (راشيل) في سرعة ماينوي عمله برشّاشته الصغيرة ، وحاولت القفز بعيدًا ، ولكن (أدهم) ضغط صمام الرشاشة في سرعة ، وغمر رذاذ السائل المنطلق منها وجه (راشيل) ، وتصاعدت رائحة نفّاذة إلى رأسها عبْر أنفها ، ووجدت نفسها تسْقُط في غيْبوبَة عميقة ..

* * *

استعادت (راشيل) وعْيَها في بطء ، وفتحت جفنيها في تثاقل ، وهي تعاني صداعًا شديدًا .. من تأثير المخدّر الذي قذفه (أدهم) في وجهها .. ورأت بعينيها نصف المغلقتين فتاة تقف أمامها هادئة مبتسمة .. وبدت لها ملامح الفتاة مألوفة ، وإن عجز عقلها نصف المخدّر عن تحديد ذلك بالضبط ..

وفجأة .. تلاشى كل أثر للمخدّر من رأس (راشيل) ، واتسعت عيناها في ذهول شديد ، فقد كانت الفتاة التي تقف أمامها هي نفسها ..

كانت (راشيل) تواجه (راشيل) ..

ومن هنا بدأت خطّة (أدهم) ..

* * *

ولكن (أدهم) ضغط صمام الرشاشة في سرعة ، وغمر رذاذ السائل المنطلق منها وجه (راشيل) ..

٧ ــ خُطَّة الشيطان ..

لم يتمالك النقيب (سمير) نفسه ، وهو يستمع إلى قصّة (منى) ، فهتف في مزيج من الإعجاب والانبهار :

— يا إلهي !!.. هل تعنين أنك كنت (راشيل) ، طيلة الوقت الذي أعقب ذلك ؟

أومأت برأسها إيجابًا وهي تبتسم ، وقالت :

— نعم .. لقد استخدم (أدهم) براعته المذهلة في فن التنكُّر ، ليحوّلني إلى نسخة طبق الأصل من (راشيل) ، وعُدت أنا إلى ڤيلّا (فرانك چوردان) في هيئة هذه الأخيرة ، ولم تكشف (سونيا) أو يكشف (فرانك) حقيقة أمري ؛ لأنّ ملامحي كانت نفس ملامح (راشيل) ، وصوتي هو صوتها منذ البداية ، وقُدت أنا السيّارة إلى نقطة اللقاء المتفق عليها ، حيث كان من المفروض أن يسلّم (أدهم) نفسه في مقابل إطلاق سراح (قدري) .

هتف (سمير) في حَيْرة :

— وأين ذهبت (راشيل) الحقيقية ؟

ابتسمت (منى) ، وهي تقول :

— لقد كان ذلك أبرع جزء في خطّة (أدهم) ، فقد أبدل

ملامح (راشيل) ، ليحوّلها إلى صورة طبق الأصل مِنّي ، وخدّرها مرّة أخرى بمخدّر قويّ المفعول ، ووضعها إلى جواره في السيّارة ، وانطلق بها إلى موعد اللقاء ، وهناك تركها داخل السيّارة ، بحيث تبدو وكأنها أنا ، وأقنع (سونيا) بوجود مدفع (بازوكا) داخل السيّارة ، وأنني أستعد لإطلاقه نحوها في حالة الخِداع ، وصدّقته (سونيا) بالطبع ، دون أن تتخيّل لحظة واحدة أنني أقف إلى جوارها ، وأصوّب مسدّسي إلى رأس (أدهم) ، في شخصيّة زميلتها (راشيل) .

سألها (سمير) في اهتمام :

ــ وماذا عن (قدري) ؟.. ألم يكشف الأمر ؟

هزّت كتفيها ، وقالت :

ــ لقد تحدّث (أدهم) إلى (قدري) قبل إطلاق سراحه ، وأخبره في عبارة مُبهمة أنه سيواجه مايدهشه ، وأنه ينبغي ألا يظهر دهشته أبدًا .. وحينما ذهب (قدري) إلى السيّارة ، مال نحو (راشيل) وهو يظنها أنا ، ثم أدرك الأمر على الفور ، وفهم مغزى عبارة (أدهم) ، ونجح في كتمان انفعاله ودهشته ، خاصة وأن (أدهم) كان قد ترك على قدمي (راشيل) الغائبة عن الوعي رسالة خاصة لـ (قدري) ، ينبئه فيها بالأمر ، ويحدّد له خطوات الخُطّة فيما بعد .

غمغم (سمير) فى انبهار :

ـــ يا إلهى !!.. إن (أدهم) عبقرى حقًّا .

ابتسمت (منى) ، وهى تقول :

ـــ لقد تجلَّت عبقريته بعد ذلك يا (سمير) ، فحينما طلبت منّى (سونيا) التوجُّه إلى حيث أعدَّت الأمر لإعدام (أدهم) ، أصابتنى الحَيْرة لحظة ، فلم أكن أعرف هذا المكان بالطبع ؛ لذا فقد تظاهرت بأن معصمى قد ارتطم بعجلة القيادة ، وبعدم استطاعتى قيادة السيَّارة ، وتركتها تقود السيَّارة بنفسها ، دون أن يقاوم (أدهم) لحظة واحدة ، حتى وصلنا إلى ذلك المكان ، وتظاهرت أنا بإصرارى على شنق (أدهم) بنفسى ، وتركتنى (سونيا) أحيط عنقه بأنشوطة الحبل ، وأجذب ذراع المنصَّة ، وترك (أدهم) جسده يهوى فى استسلام ، وبدا للجميع وكأنه قد شُنِق حقًّا .

عقد (سمير) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَيْرة :

ـــ ولكن كيف لم يقتله ذلك ؟

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

ـــ هل تعلم كيف يصوِّرون مشاهد الشنق فى السينما يا (سمير) ؟ إن الممثل الذى يقوم بدور المشنوق ، يلف حول وسطه وتحت إبطه حزامًا جلديًّا قويًّا ، يتصل به مشدّ جلدى

من الظهر ، ينتهى بخُطَّاف متين ، وحينما يلفُّون الحبل حول رقبته ، يثبتون نهاية الأنشوطة فى الخطاف ، وعندما يهوى جسد الممثل فى لحظة الشنق ، يبدو للجميع وكأنه قد تعلَّق من رقبته ، فى حين أن الواقع هو أنه قد تعلَّق من وسطه .

هتف (سمير) :

ـــ هل تعْنين أنكما قد فعلتما ذلك أمام عينى (سونيا) ؟

أومأت (منى) برأسها إيجابًا ، وهى تضحك فى مرح ، وقالت :

ـــ نعم .. ولقد بالغ (أدهم) فى إتقان دوره ، فأضاف إلى الخُطَّاف قطعة من البلاستيك ، تحطَّمت حينما هوَى جسده ، فأعطت صوت الفقرة العنقية وهى تنفصل .

غمغم (سمير) فى دهشة :

ـــ ولم تكشف (سونيا) الخُدعَة ؟!!

هزَّت (منى) كتفيها ، وقالت :

ـــ لقد قدَّر (أدهم) أن انفعالها بالموقف سيجعلها تكتفى بقولى إنه قد مات ، خاصَّةً وهو يتأرجح أمامها فى حبل المشنقة .

ثم ضحكت فى مرح ، وهى تردف :

ـــ ولقد كدت أنفجر ضاحكةً عندما طلب من (سونيا) أن تعدمه رميًا بالرصاص ، ورفضت هى فى إصرار ، دون أن

تدرى أن خطَّة (أدهم) كلها كانت تعتمد على قولها له : إنها تنوى إعدامه شنقًا .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم انفجر (سمير) فجأة ضاحكًا ، وصاح فى نشْوَة :

ـــ يا لها من خُدعة !! لقد تفوَّقتما على كل عمالقة السينما والمسرح والمخابرات هذه المرَّة .

ثم توقَّف عن الضحك بغتةً ، وسألها فى حَيْرة :

ـــ ولكن ما دام (أدهم) حَيًّا يُرْزَق ، فأين هو الآن ؟.. ولماذا لم يخبر المخابرات المصرية بحقيقة الأمر ؟.

ابتسمت (منى) فى هدوء ، وهى تقول :

ـــ لقد أرسلت التابوت خاليًا ، وسيشرح (قدرى) الأمر لسيادة مدير المخابرات .

عاد يسألها فى اهتمام :

ـــ وأين (أدهم) ؟

ابتسمت فى غموض ، وهى تقول :

ـــ لقد قرَّر ألا يعود إلى مصر ، إلَّا بعد تلقين (فرانك) و (سونيا) درسًا قاسيًا .

عقد حاجبيه وهو يسألها :

ـــ وكيف سيفعل ذلك ؟

أجابته فى هدوء :

ـــ سيدمِّر أعمال (فرانك) الخاصَّة بالمخدِّرات ، ويكشف أمره لـ (سونيا) فى النهاية .

سألها فى اهتمام :

ـــ هل تعْنين أنه يندس الآن وسط رجال (فرانك) ؟

أومأت برأسها إيجابًا وهى تبتسم ، فسألها فى لهفة شديدة :

ـــ وفى أيَّة شخصية يتنكَّر هذه المرَّة ؟

اتسعت ابتسامة (منى) فى خبث ، وهى تقول فى هدوء :

ـــ هل يمكنك أن تستنتج ذلك ؟

* * *

« (شارك) أو (ليون) » ..

نطقت (سونيا) بهذه العبارة فى صرامة وبرود ، فاتسعت عينا (فرانك) فى دهشة ، وهو يحدِّق فى وجهها ، ثم لوَّح بذراعه فى حِدَّة ، وهو يقول فى استنكار :

ـــ مستحيل يا (سونيا) .. لايمكن أن يخوننى أيهما ، فالأول مدير أعمالى ، والمسئول عن كل صفقات المخدِّرات ، والثانى ساعدى الأيمن فى المنظمة .

أشعلت سيجارتها فى برود ، وهى تقول :

ـــ الخيانة لا تأتى دائمًا إلَّا من أقرب المقرَّبين .

صاح فى حَنَق صارم :
ــ كلّا يا (سونيا) .. مستحيل !! إننى أثق فى (شارك) و (ليون) كما أثق فى نفسى .
توتّرت كلماتها ، وهى تقول :
ــ ربّما كان أحدهما (أدهم صبرى) متنكّرًا .
التفت إليها فى دهشة ، وهو يهتف فى سخط :
ــ هل أصابك الجنون؟.. لقد قضى (أدهم صبرى) نحبه.
لوّحت بذراعها ، وهى تقول فى حِدّة :
ــ وماذا عن ذلك الذى يطارده (عَيْنُ النَّمِر) ؟
عقد (فرانك) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حِدّة :
ــ سيؤكد (عَيْنُ النَّمِر) أنه زائف .
نفثت دُخان سيجارتها ، وهى تقول فى انفعال :
ــ سيكون ذلك من حسن حظ (راشيل) .
سألها فى دهشة :
ــ ماذا تعْنِين ؟
أجابته فى صرامة شرسة :
ــ أعْنِى أنه لو كان هذا الرجل الذى يطارده (عَيْنُ النَّمِر) هو (أدهم صبرى) ، فسيعْنِى هذا أن (راشيل) قد خدعتنى حينما ادَّعت مَصْرَعه ، وسيروق لى حينئذ أن أزيِّن جبهتها برصاصة قاتلة .. ولن أتردَّد فى ذلك .

* * *

٨ ــ خطوة خطرة ..

استقبلت (منى) ، فى هيئة (راشيل) ، (فرانك) و (سونيا) عند عودتهما إلى الڤيلّا ، وسألتهما فى لهجة ساخرة :
ــ هل عثرتما على شىء ؟
حَدجَتْها (سونيا) بنظرة فاحصة متشكّكة ، وهى تقول فى برود :
ــ هل يَرُوق لك فشلنا فى العثور على شىء ما يا (راشيل)؟
هزّت (منى) كتفيها فى لامبالاة ، وهى تقول :
ــ كلّا بالطبع .. ولكن ذلك الذُعر الذى يملأ نفسيكما يثير ضيقى .
وفجأة .. رفعت (سونيا) مسدَّسها فى وجه (منى) ، وقالت فى حِدّة صارمة :
ــ لماذا تخدعيننى يا (راشيل) ؟
رفعت (منى) حاجبيها فى دهشة ، وهى تقول فى حَنَق :
ــ تخدعُكِ ؟!.. ماذا تعْنِين بحقّ الشيْطان ؟
انتحى (فرانك) جانبًا ، يتابع الموقف فى هدوء ، دون أن يحاول التدخُّل ، فى حين هتفت (سونيا) فى عصبية واضحة :

ــ لقد غادرت الڤيلّا دون مبرِّر فى الواحدة صباحًا ، ورآى (عَيْنُ النَّمِر) (أدهم صبرى) وهو يتبعك .
هتفت (منى) فى حِدّة :
ــ يبدو أن (أدهم صبرى) هذا سيورِّثك الجنون،حيًّا كان أو ميتًا .. لقد غادرت الڤيلّا ؛ لأنها ليست سجنًا،ولأننى أردْت قضاء بعض الوقت فى أحد المنتديات الليلية ، حتى أزيل عن أعماق ذلك التوتُّر الذى تورثينني إيَّاه دومًا .
صاحت (سونيا) فى غضب :
ــ أنتِ كاذبة .. لقد كان (أدهم صبرى) .. ستعترفين أو أقتلك بلا شفقة أو رحمة .
ارتفع فجأة صوت متهالك يقول :
ــ كلّا ياسيِّدتى .. إنه ليس (أدهم صبرى) .
التفت الجميع فى دهشة إلى مصدر الصوت ، وهتفت (سونيا) فى جزع :
ــ (عَيْنُ النَّمِر) ؟!.. ماذا أصابك ؟
كان (عَيْنُ النَّمِر) يستند إلى باب الحجرة فى إعياء ، والدم يسيل من أنفه المحطَّم ، ومن زاوية فمه ، وقد فقد اثنتين من أسنانه الأمامية ، وتورَّمت عينه اليُسْرى على نحو بشع مخيف ، فصاح به (فرانك) فى دهشة :

ارتفع فجأة صوت متهالك يقول :
ــ كلّا ياسيِّدتى .. إنه ليس (أدهم صبرى) ..

— هل ارتطمت بقطار مسرع ؟
عقد (عَيْنُ النَّمِر) حاجبيه فى ضيق ، وقال :
— لقد تتبَّعت الرجل ، ولكنه فاجأنى فى أول منعطف ، وفعل بى ذلك .
اتسعت عينا (سونيا) ، وهتفت فى توتُّر :
— إذن فهو (أدهم) !
هزَّ (عَيْنُ النَّمِر) رأسه نفيًا فى قوَّة ، وهو يقول :
— كلَّا .. لقد كان متنكِّرًا فى هيئته ، ولكنه ليس هو ، فصوته يختلف كثيرًا .
صاحت (سونيا) فى انفعال :
— إنَّ (أدهم) يمتلك حنجرة مرنة مذهلة .
قالت (منى) فى حِدَّة :
— وهو أيضًا خبير فى التنكُّر ، وكان من الأجدى أن يبدِّل ملامحه ، بدلًا من أن يبدِّل صوته ، ويسير بوجه معروف مكشوف .
ارتبكت (سونيا) أمام ذلك المنطق ، وغمغمت فى عصبية :
— مَنْ هُوَ إِذَن ؟
تدخَّل (فرانك) فى الحديث ، قائلًا :
— إنه شخص يحاول إيهامنا ببقاء (أدهم) على قيد الحياة يا(سونيا) .

وهتفت (منى) فى غضب مصطنع :
— كان ينبغى أن تفحصى جثة (أدهم) بنفسك ، قبل أن نشحنها إلى القاهرة يا(سونيا) ، بدلًا من أن تواصل شكَّك فى مصرعه على هذا النحو المملّ .
رفعت إليها (سونيا) عينيها فى حركة حادَّة ، ثم قطَّبت حاجبيْها وهى تغمغم فى شرود :
— بالطبع .. كان ينبغى ذلك قبل شحنها إلى القاهرة .
وارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة غامضة ، وهى تقول فى هدوء :
— شكرًا يا عزيزتى (راشيل) .. لقد كان هذا ما ينبغى بالضبط .
واتسعت ابتسامتها ، وازدادت خبثًا وغموضًا ..

* * *

عَبَر (فرانك جوردان) ممرّ مكتبه فى الصباح التالى بنفس الخطوات السريعة ، وقال لسكرتيرته فى برود ، قبل أن يغلق باب مكتبه :
— اطلبى من (شارك) الحضور إلى مكتبى على الفور .
واتجه إلى النافذة الزجاجية الكبيرة ، التى تملأ نصف الحائط الأيسر لمكتبه ، ووقف يتطلَّع عَبْرها إلى الجزيرة السِّياحيَّة فى هدوء ، حتى سمع صوت (شارك) ، وهو يدخل إلى مكتبه ، مغمغمًا فى ارتباك :
— علمت أنك تريد مقابلتى أيها الزعيم .

التفت إليه (فرانك) فى هدوء ، يتأمَّل جسده الضخم ، ثم قال فى برود :
— لقد كانت خسارتنا فادحة لضياع الصفقة الماضية يا(شارك) .
تلعثم (شارك) ، وهو يغمغم فى أسف :
— لست أدرى كيف حدث هذا أيها الزعيم .. إننى .....
قاطعه (فرانك) فى برود :
— إننى أنوى تعويض هذه الخسارة يا(شارك) .
غمغم (شارك) دون أن يرفع عينيه إلى وجه زعيمه :
— نعم أيها الزعيم .. لابُدَّ أن نحاول .
لوَّح (فرانك) بذراعه ، وهو يقول فى صرامة :
— ليست مجرَّد محاولة يا(شارك) .. لقد قرَّرت القيام بخطوة حاسمة قويَّة .. مغامرة من شأن نجاحها أن يعوِّض كل شىء .
عقد (شارك) حاجبيه الكثَّين ، وهو يغمغم :
— كما تأمر أيها الزعيم .
ساد الصمت لحظة واحدة ، ثم قال (فرانك) فى صوت حازم :
— سأجازف بكل ثروتى للقيام بأكبر عملية فى تاريخ تجارة المخدِّرات .

اتسعت عينا (شارك) فى فزع ، وهو يقول :
— كل ثروتك ؟!.. ولكن أيها الزعيم ....
قاطعه (فرانك) فى صرامة :
— لست أطلب رأيك يا(شارك) .. لقد قرَّرت ، وعليك تنفيذ أوامرى فحسب .
لم يكن من السهل على عقل (شارك) أن يستوعب ذلك النوع من المجازفات ، إلَّا أنه اكتفى بهزِّ كتفيه فى استسلام ، وغمغم فى خفوت :
— كما تأمر أيها الزعيم .
اتجه (فرانك) إلى مكتبه فى هدوء ، والتقط دفتر شيكات ، وألقى به إلى (شارك) وهو يقول :
— كل هذه الشيكات موقَّعة بلا أرقام ، أريد منك أن تسحب كل أرصدتى ، وتجمع المبلغ كله لتشترى به أكبر كمية مخدرات ممكنة .
غمغم (شارك) فى تبرُّم :
— سيربُو ذلك على المائة مليون دولار أيها الزعيم .
قال (فرانك) فى صرامة :
— لن يتصوَّر مخلوق واحد فى العالم كله وجود صفقة

مخدرات بهذا الحجم ، ولكن نجاحها سيعوّض خسارتنا السابقة ، وسيجنى أرباحًا خيالية .

غمغم (شارك) فى ضيق :

ـــ وفشلها سيدمّر كل شىء أيها الزعيم .

تنهّد (فرانك) ، وجلس خلف مكتبه ، وهو يقول فى ثقة وهدوء :

ـــ لن تفشل يا (شارك) .. لن تفشل ، فلدىّ خطّة تخدع الشيطان نفسه .

ثم ابتسم وهو يردف فى سخرية :

ـــ حتى ولو كان يحمل اسم (أدهم صبرى) .

* * *



٩ ـــ السقوط الرهيب ..

وقف (فرانك) أمام نافذة حجرته ، فى الفيلّا الأنيقة ، يتطلّع فى شرود إلى غروب الشمس على شاطئ (هاواى) ، وهو مستغرق فى تفكير عميق ، حينما اقتحمت (سونيا) حجرته فجأة ، وهى تقول فى لهجة عصبيّة :

أين (راشيل) ؟

التفت إليها (فرانك) فى هدوء ، وقال :

ـــ لست أدرى .. لعلها تتنزّه قليلًا على الشاطئ .

غمغمت (سونيا) فى سخط :

ـــ تلك اللّعينة !!

ثم استطردت ، وهى تسأل (فرانك) فى توتّر :

ـــ ماذا يقلقك ؟.. إنك تبدو مختلفًا ..

أجابها فى قلق واضح :

ـــ إننى أنتظر نتائج أكبر صفقة مخدرات فى حياتى يا (سونيا) .

غمغمت ، وهى تعقد حاجبيها فى تساؤل :

ـــ أكبر صفقة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـــ نعم يا (سونيا) ..لقد قامرت بثروتى كلها لتعويض خسارتى فى الصفقة الماضية .

هتفت (سونيا) فى استنكار :

ـــ ثروتك كلها ؟!.. كيف تُقدِم على مثل هذا العمل الأخرق ؟.. ماذا لو انكشف سرّ هذه العملية كسابقتها ؟

هزّ رأسه فى قلق ، وهو يقول :

ـــ لن يحدث هذا يا (سونيا) ، فخطّتى هذه المرّة أكثر من مضمونة .

ثم التفت إليها ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ـــ ستكون أكبر وأسرع صفقة فى التاريخ، فلقد تمّ تحويل المبلغ إلى (تركيا) هذا الصّباح، ولقد قام رجالى هناك بشراء عشر طائرات شراعية، بحجة إنشاء مركز تدريب لقيادة الطائرات هنا فى (هاواى).. وتمّ تبطين الطائرات، فى الفراغ الذى يبطّن عادة بالألياف الزجاجية بين سطحيها الخارجىّ والداخلىّ، بالمخدّرات، ولقد تمّ شحنها بالفعل إلى هنا منذ خمس ساعات.

رفعت (سونيا) حاجبيها ، وهى تقول فى إعجاب :

ـــ يا لها من خطّة !! إنك تمتلك فى الواقع عقلًا شيطانيًّا .

أومأ برأسه فى رفق ، وكأنما يؤمّن على قولها ، ثم عقد حاجبيه وهو يسألها فى اهتمام :

ـــ لماذا تبحثين عن (راشيل) ؟

التقطت من جيبها ورقة مطويّة ، لوّحت بها أمام وجهه ، وهى تقول فى حِدّة :

ـــ لقد وجدت ما يثبت أن هذه اللّعينة خائنة .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ خائنة ؟!.. ماذا فعلت ؟

قبل أن تفتح (سونيا) شفتيها لتخبره ، ارتفع صوت (مُنى) وهى تقول فى سخرية :

ـــ دَعْنى أنا أوجّه إليها هذا السؤال يامستر (فرانك) .

التفتت (سونيا) فى حركة حادّة إلى حيث تقف (مُنى) ، وهى ما تزال تحمل شخصية (راشيل) ، ولوّحت فى وجهها بالورقة المطويّة ، وهى تقول فى غضب :

ـــ لقد حصلت على صورة من أوراق الشحن يا (راشيل) ، وعلمت منها أنك لم ترسل إلى القاهرة إلا تابوتًا خشبيًّا فارغًا .

شعرت (مُنى) بالقلق يسرى فى عروقها أمام المفاجأة ، إلّا أنها تماسكت ، ونجحت فى المحافظة على مظهرها الهادئ ، وهى تقول فى صوت يُوحى باللامبالاة :

— وماذا فى ذلك ؟
هتفت (سونيا) فى ثورة :
— ماذا فعلت بـ (أدهم صبرى) ؟
ابتسمت (مُنَى) فى سخرية ، وهى تقول :
— بل قُولى ماذا فعلت بجثته ؟
صرخت (سونيا) فى جنون :
— إنَّ (أدهم) لم يمت .. أليس كذلك ؟
أجابتها (مُنَى) فى هدوء عجيب :
— كيف يا(سونيا) ؟.. لقد قضى نحبَه أمامنا .
انتزعت (سونيا) مسدَّسها ، وصوَّبته إلى رأس (مُنَى) ، وهى تقول فى غضب هائل :
— ستخبريننى أنت كيف أيتها الخائنة ، وإلَّا أطلقت النار على رأسك .
دخل إلى الحجرة ، فى هذه اللحظة ، (ليون) بقامته الممشوقة ، وجسده المفتول العضلات ، ونقَّل بصره لحظة بين (سونيا) و(مُنَى) ، ثم أدار عينيه إلى (فرانك) ، يسأله فى هدوء :
— هل توجد متاعب أيها الزعيم ؟
أشار إليه (فرانك) أن يبقى ويصمت ، وعقد كفَّيه خلف ظهره ، وهو يسأل (مُنَى) فى هدوء :

— كيف تبرِّرين عدم وجود الجثة إذن يا(راشيل) ؟
هزَّت (منى) كتفيها فى لامبالاة ، وهى تقول :
— لقد احتفظت بها قليلًا ، فلا ريب أن المخابرات المصريَّة ستدفع ثمنًا باهظًا لاستعادة جثَّة أفضل رجالها ، ولن يضيركما حصولى على بعض المال ، بعد أن حققتما هدفكما بالقضاء على (أدهم صبرى) .
عادت (سونيا) ترفع فُوَّهة مسدَّسها فى وجه (منى) ، وهى تقول فى عصبيَّة بالغة :
— ليس هذا هو السبب الحقيقى .
عادت (مُنَى) تهزّ كتفيها فى لامبالاة ، على الرغم من القلق الهائل الذى يعصف بنفسها ، فى حين سألها (فرانك) فى صرامة :
— أين الجثة يا(راشيل) ؟.. يمكنك تأكيد قصتك بإعادة الجثة إلينا .
عقدت (منى) حاجبيها ، وهى تقول فى لهجة تُوحِى بالاعتراض والاستنكار :
— كنت سأحصل على مليون دولار فى مقابلها .
مطَّ (فرانك) شفتيه ، وهو يقول :
— سنكتفى برؤيتها فقط .

حارت (منى) فى البحث عن الجواب التالى ، إلَّا أن (شارك) أعفاها من البحث عنه طويلًا ، حينما اقتحم الحجرة على نحو مثير للدهشة والجزع ، وبدا شديد الاضطراب ، وهو يهتف فى انهيار :
— لقد فشلت العملية أيها الزعيم .. لقد خسرنا المائة مليون دولار .

★ ★ ★

حدَّق الجميع فى وجه (شارك) فى ذهول وذُعر ، وترك (فرانك) جسده يهوى فوق أقرب المقاعد إليه ، وهو يقول فى صوت بالغ الشحوب :
— خسرنا ؟!.. خسرت ثروتى كلها ؟!.. كيف ؟!.. كيف حدث ذلك ؟
لوَّح (شارك) بذراعيه فى حِدَّة ، وهو يهتف فى صوت أقرب إلى البكاء :
— لست أدرى كيف حدث ذلك أيها الزعيم !!.. لقد فحص رجال الجمارك فى (تركيا) الطائرات ، وسمحوا لها بالسفر ، وحينما هبطت طائرة الشحن فى (إسبانيا) ، انقضَّ عليها رجال الجمارك وأجهزة مكافحة المخدرات كالذئاب ، ومزَّقوا جدران الطائرات الصغيرة ، وكأنهم يعلمون ما تحويه ، وعثروا على الشحنة ، وصادروها ، وألْقَوْا القَبْضَ على الجميع .

استمع إليه (فرانك) فى ذهول ملحوظ ، ثم هتف فى صوت شديد الاضطراب :
— صادَروها ؟!.. صادروا مخدرات بمائة مليون دولار .. صادروا ثروتى كلها ؟
تطلَّعت إليه (سونيا) لحظة فى غضب ، ثم التفتت إلى (راشيل) ، وسألتها فى حِدَّة :
— هذه العملية تحمل توقيع (أدهم صبرى) يا (راشيل) .. كم دفع لك مقابل خيانتى ، وإنقاذه من الموت ؟
أجابتها (منى) فى ضَجَر :
— لقد مات (أدهم صبرى) يا (سونيا) .. ولقد ..
صرخت (سونيا) ، وهى تقاطعها بصفعة قويَّة :
— أيتها الحقيرة .
مدَّت (منى) كفَّها تتحسَّسُ موضع الصفعة فى غضب ، فى حين حدَّقت (سونيا) فى وجهها فى ذهول ، وهى تهتف :
— يا للشيطان !!.. لقد انتزعت صفعتى جزءًا من بشرتك !!.. إنك لست (راشيل) .
وفى حركة سريعة ، انتزعت (سونيا) ذلك القناع المطاطىّ



صرخت (سونيا) ، وهى تقاطعها بصفعة قوية :
— أيتها الحقـيرة ..

الرفيق الذى يحمل وجه (راشيل) ، وتراجعت فى ذهول شاركها فيه الجميع ، وهى تحدّق فى وجه (منى) ، ثم رفعت مسدّسها إلى وجهها فى سرعة ، وهى تصرخ فى غضب جنونى :

— إذن فأنت زميلة ذلك الشيطان .. إنه لم يمت إذن .. لم يمت .

عقدت (منى) حاجبيها فى صرامة ، وابتسمت فى سخرية وهى تقول :

— صدقتِ أيتها الأفعى .. إنّ (أدهم صبرى) لم يمت .

* * *



١٠ — الحقيقة المذهلة ..

اتسعت عينا (سونيا) ذهولاً ، وتراجعت فى ذُعر ، وقد صدمها ذلك التصريح الذى أدلت به (منى) ، وزلزل كيانها كلّه ، وهتفت فى صوت مختنق :

— إذن فقد كان الأمر كلّه مجرّد لخدعة !! لقد كنت أشعر بذلك منذ البداية .

ابتسمت (مُنى) فى سخرية ، وهى تقول :

— لن يمكنك هزيمة (أدهم صبرى) أبدًا يا (سونيا) .

تفجّر الغضب فى وجه (سونيا) قويًّا هادرًا ، وصرخت فى مرارة :

— أين هو ؟.. أين ذهب ذلك الشيطان المصرىّ ؟

كرّرت (منى) نفس العبارة ، التى سبق أن ردّدتها على مسامع (سمير) :

— هل يمكنك استنتاج ذلك ؟

عقدت (سونيا) حاجبيها فى غضب ، وجسدها ينتفض من فرط الانفعال ، وهى تقول :

— لست أرغب فى مناورتك أيّتها المصريّة .. اخبرينى أين (أدهم صبرى) أو أقتلك بلا رحمة .

دلف (عَيْنُ النّمِر) فى تلك اللحظة إلى الحجرة ، بعينه المتورّمة وأنفه المحطّم ، وتطلّع إلى الجميع فى دهشة ، وهو يغمغم :

— ماذا يحدث هنا ؟

تجاهل الجميع الإجابة عن سؤاله ، فى حين عادت (سونيا) تصرُخ فى غضب :

— أين (أدهم صبرى) أيّتها المصرية ؟

أدارت (منى) عينيها فى هدوء إلى حيث يقف (شارك) و(ليون) و(عَيْنُ النّمِر) ، وقالت فى سخرية :

— هنا يا (سونيا) .. أمام عينيك .

عقد (فرانك) حاجبيه فى قوّة ، وتبادل (شارك) و(ليون) و(عَيْنُ النّمِر) نظرة جزعة ، فى حين اتسعت عينا (سونيا) ، وهى تهتف فى دهشة :

— هنا ؟!

ثم أدارت عينيها فى حِدّة إلى حيث تطلّعت (منى) ، وهتفت :

— إنه واحد منكم إذن .

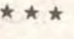
غمغم (فرانك) فى اضطراب ، وهو يلتقط قوّسه ، وكأنما يستعدُّ للمعركة :

ـ ولكنهم من أكثر رجالى إخلاصًا يا (سونيا) .
وأطلق أحد أسهمه فى حركة سريعة نحو مركز الهدف الدائرى ، وكأنما يلقى معه انفعاله وتوتُّره ، قبل أن يستطرد فى حِدَّة :
ـ لا يمكننى أن أشكَّ فى واحد منهم .
هتفت (سونيا) فى غضب وصرامة ، وهى تصوِّب مسدَّسها إلى الرجال الثلاثة :
ـ لاتنظر إلى وجوههم يا (فرانك) ، فـ (أدهم صبرى) أستاذ فى فنِّ التنكُّر ، حتى أنه قادر على أن يجعلك تشكُّ فى نفسك ، لو انتحل شخصيتك .
هتف (شارك) فى ذُعر :
ـ ولكننى (شارك) يا سيِّدى ، ويمكننى تأكيد ذلك .
وقال (ليون) فى هدوء :
ـ إننى أجد كل ذلك سخيفًا .
فى حين أخذ (غيْنُ النَّمِر) ينقِّل بصره بين الجميع فى ذُهول ، دون أن ينبس ببنتِ شَفَة ، وعقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تتطلَّع إلى ثلاثتهم ، قائلةً فى حَنَق :
ـ كل منكم يمكنه أن يكون (أدهم) ، فـ (غيْنُ النَّمِر)

بوجهه المصاب وعينه المتورِّمة ، يمكنه أن يكون رجلًا يسعى لتبديل ملامحه على نحو يخفى وجهه الأصلى ، ثم إنه هو الذى جعلنا نستبعد وجود (أدهم) على قيد الحياة ، حينما جزم بأن الصوت لم يكن صوت (أدهم) .
صاح (غيْنُ النَّمِر) فى توتُّر :
ـ ولكنها الحقيقة ياسيِّدتى .. أقسم لك .
تجاهلت (سونيا) اعتراضه ، وهى تتابع :
ـ و(ليون) يمكنه أن يكون (أدهم صبرى) ، فهو يمتلك نفس قامته الممشوقة ، وعضلاته المفتولة ، ثم إنه يتغيَّب كثيرًا ، ويعلم كل أسرار زعيمه .
غمغم (ليون) فى لهجة ساخرة :
ـ يا للسخافة !!
مرَّةً أخرى تجاهلت (سونيا) ذلك التعليق، وهى تستطرد:
ـ أما (شارك) ، فهو المشتبه فيه المثالى ، فهو أكثر من يعلم أسرار (فرانك) ، وهو الذى يستطيع فضح سرّ الصفقتين الخاسرتين .
صاح (شارك) فى ذُعر :
ـ لست أنا ياسيِّدتى .. أقسم لك .

نهض (فرانك) ، وشبَّك كفَّيه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :
ـ إن ماتقولينه بالغ الخطورة يا (سونيا) .
صاحت (سونيا) فى غضب :
ـ أؤكد لك أن أحدهم هو (أدهم صبرى) .
ثم تألَّقت عيناها فى شراسة ، وهى تستطرد :
ـ وسأثبت لك ذلك على الفور .
وألصقت فُوَّهة مسدَّسها برأس (منى) ، فى حركة سريعة ، وهى تصرخ فى جنون وحشىّ :
ـ فليكشف (أدهم صبرى) الحقيقى عن شخصيته ، وإلَّا جعلته يرى مُخّ زميلته الحبيبة وهو يتطاير كالرذاذ .
عقد (فرانك) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :
ـ إننى أكره هذا الأسلوب يا (سونيا) .
صاحت فى ثورة :
ـ هذه هى الوسيلة المضمونة .. إنه لن يسمح بقتل زميلته أمام عينيه ، وسأمنحه نصف دقيقة لاغير .
ساد الصمت لحظة ، ثم دوَّى صوت (أدهم صبرى) الساخر وسط الحجرة ، وهو يقول فى برود :

ـ حسنًا يا (سونيا) .. لقد انتصرت .
واستدار الجميع إلى مصدر الصوت فى سرعة ، ثم ارتدَّت (سونيا) إلى الخلف كالمصعوقة ، واتسعت عيناها حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وهى تهتف فى ذهول جارف :
ـ مستحيل ؟!.. أنت ؟!
ارتسمت ابتسامة ساخرة على (فرانك چوردان) ، وهو يقول :
ـ نعم ياعزيزتى (سونيا) .. إنه أنا .. أنا (أدهم صبرى) .





١١ — الانهيار ..

سقطت (سونيا) على مقعدها ذاهلة، وسقط مسدَّسها من يدها دون أن تدرى، فالتقطته (مُنَى) فى سرعة، وصوَّبته إلى الرجال الثلاثة، الذين وقفوا يحدِّقون فى (أدهم) بذهول، وهو ينزع عن وجهه ذلك القناع الذى يحمل ملامح (فرانك چوردان)، لتبدو أمامهم ملامحه الوسيمة، وهو يبتسم تلك الابتسامة الساخرة اللامبالية، التى تحطِّم دائمًا شجاعة أعدائه..

وكانت (سونيا) هى أول من قطع حبل الصَّمت ، وهى تغمغم فى انهيار :

— أكنت أنت طيلة الوقت ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا فى هدوء ، وابتسم وهو يقول فى سخرية :

— نعم ياعزيزتى (سونيا) .. لقد كنت أنا منذ احتفلنا معًا بمصرعى ، وكنت أنا حينما أبلغنى (شارك) بأمر الصفقة الأولى ، فعاوننى بذلك على إحباطها ، وهو يظننى زعيمه ، وكنت أنا عندما خطَّطت للصفقة الثانية ، وألقيت فيها بكل أموال (فرانك) ، ثم أبلغت السلطات الإسبانية بالأمر .. إنه أنا منذ البداية يا(سونيا) .

غمغمت ودموعها تسيل على وجنتيها :

— ولكن كيف ؟!

هزَّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول فى سخرية :

— لقد كان الأمر بسيطًا للغاية ، فلقد كاد (فرانك) يسقط مغشيًّا عليه حينما فوجئ بى فى حجرة نومه .. ولقد فقد وعيه من الضربة الأولى ، ولقد كان من السهل بعد ذلك نقله إلى منزل استأجرناه أنا و(منى) فور وصولنا إلى (هاواى) ، وما زال هناك بصحبة (راشيل) .

أدرك عقل (شارك) أبعاد الموقف أخيرًا ، فهتف فى حَيْرة :

— ولكنك أعطيتنى دفتر شيكات يحمل توقيع الزعيم ، ولم يعترض أى بنك على صحة التوقيع .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وهو يقول :

— إنها واحدة من روائع صديقنا (قدرى) أيها الوغد .. فلقد اضطر لقضاء وقت طويل فى الولايات المتحدة ، حتى يمكنه إنجاز هذه التحفة ، قبل أن يعود إلى القاهرة .

غمغم (ليون) فى دهشة ، وهو يشير إلى الهدف الدائرى :

— ولكننا رأيناك جميعًا تطلق سهمك نحو الهدف منذ لحظات ، بنفس البراعة التى يستخدم بها الزعيم قوسه ونُشَّابه .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى برود :

— بل أكثر براعة ياصديقى .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى هدوء :

— والآن ياعزيزتى (سونيا) .. ألا تعترفين بأنكِ لن تنتصرى أبدًا على (أدهم صبرى) ؟

صاحت (سونيا) فى غضب ، وقد أفاقت من ذهولها :

— مُحَال .

وفى حركة مباغتة سريعة ، أطاحت بمسدَّس (منى) بركلة قويَّة ، وانقضَّت عليها وهى تطلق صرخة وحشيَّة غاضبة ، وبدا وكأن هجومها مجرَّد إشارة بدء ، فقد انتزع رجال (فرانك) الثلاثة من دهشتهم ، وجعلهم ينقضُّون على (أدهم) انقضاضة رجل واحد ..

* * *

كان (أدهم) يعقد ساعديه أمام صدره حينما بدأ الهجوم ، والتقطت عيناه مشهد الرجال الثلاثة ، وهم ينتزعون مسدَّساتهم ، وينقضُّون عليه فى شراسة ، وانتقلت الإشارة فى سرعة البرق إلى عقل (أدهم) ، الذى قدَّر الموقف فى سرعة مذهلة ، واتخذ الخطَّة والقرار ، وأرسل إشارة التنفيذ إلى جسد (أدهم) وعضلاته ..

وتحرَّك (أدهم) فى مرونة وسرعة خرافيتين، فمال يسارًا، وركل مسدَّس (شارك) بقدمه اليمنى، وهوَى على وجه (عَيْنِ النَّمِر) بقبضته اليسرى، ثم غاص إلى أسفل، ودفع رأسه فى معدة (ليون)، وهوَى بقبضته على معصمه، فأطاح بمسدَّسه..

وزمجر (شارك) فى شراسة جعلته أشبه بثور هائج ، وغمغم (ليون) بكلمات غاضبة ساخطة ، وأطلق (عَيْنُ النَّمِر) سبابًا سوقيًّا فجًّا ، ثم عاد الثلاثة ينقضُّون على (أدهم) ..

وانثنى جسد (أدهم) ليتفادى لكمة (ليون) ، ومال يمينًا ليفرَّ من قبضة (شارك) ، ثم عاد ينتصب بغتةً ، ويَهْوِى بكلِّ قوَّة قبضته الفولاذيَّة على أنف (عَيْنِ النَّمِر) ..

وسقط (عَيْنُ النَّمِر) وهو يتأوَّه فى ألم ، واستعدَّ (شارك) و(ليون) لمواصلة القتال ، لولا أن ارتفع صوت (سونيا) ، تقول فى غضب وصرامة :

— توقَّف يا(أدهم) ، وإلَّا قتلت زميلتك .

التفت إليها (أدهم) فى سرعة ، وزفر فى ضيق حينما رأى (منى) ساقطة أرضًا ، و(سونيا) تصوِّب إليها مسدَّسها ، وسمع (منى) تقول فى غضب ساخط :

— ما كانت تلك اللَّعينة لتهزمنى ، لولا أن تعثَّرت بطرف البساط .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :
ـــ لاعليك ياعزيزتى .. إنه القَدَر .
ولكن (شارك) صاح فى غضب وثَوْرَة :
ـــ فلتذهب إلى الجحيم أيها الشيطان المصرىّ .
وهَوَى بقبضته على أنف (أدهم) بكل مايملك من قوّة ..

* * *

كانت هجمة (شارك) مفاجئة حقًّا ، ألّا أن (أدهم صبرى) لم يكن من ذلك الطراز من البشر ، الذى تربكه المفاجأة ، أو تهزمه المباغتة .
لقد غاص إلى أسفل فى سرعة مذهلة ، وترك قبضة (شارك) ترتطم بالهواء ، فاختلّ توازنه ، وترنّح لحظة ، ثم سقط إلى الخلف بدلًا من أن يسقط إلى الأمام ، حينما عاد (أدهم) ينتصب ، ويَهْوِى على فكّه بلكمة ساحقة ..
واستغلّت (منى) تلك المفاجأة اللحظيّة ، وقفزت واقفة على قدميها فى رشاقة ، وركلت المسدّس مِنْ يَدِ (سونيا) ، التى استدارت تواجهها فى غضب وشراسة ، وهى تطلق من بين شفتيها صوتًا يشبه الفحيح ، جعلها أقرب ماتكون إلى الأفعى ،
ولكن (أدهم) هتف فى لهجة آمرة ، وهو يواجه (ليون) ، و(شارك) الذى عاد ينهض فى وحشية ، وهو يزمجر فى غضب :

ـــ إلى النافذة يا(منى) .
وبدون أن تتردّد (منى) أو تفكّر فى الأمر لحظة واحدة ، انطلقت نحو نافذة الحجرة ، وقفزت منها فى رشاقة وخِفّة إلى حديقة الفيلّا ، وهوَى (أدهم) بقبضته على فكّ (ليون) ، ثم انطلق خلفها ، وأخذا يعدُوَان جنبًا إلى جنب ، حتى قفزا داخل سيارة (فرانك) ، و(سونيا) تصرخ فى جنون :
ـــ الحقا بهما .. لا تتركاهما يفلتان .
والتقط (شارك) و(ليون) مسدّسيهما ، وقفزا من النافذة خلف (أدهم) و(منى) ، والتقطت (سونيا) مسدّسها ، ولحقت بهما وهما يطلقان النار على السيّارة التى انطلقت فى سرعة ومهارة ، وسمعت (شارك) يصيح فى انفعال :
ـــ لقد أصبت خزّان الوقود .. إنهما لن يبتعدا كثيرًا .
وانطلقت (سونيا) نحو سيّارتها ، وهى تصرخ فى غضب :
ـــ سنطاردهما .. إننا لن نسمح لهما بالإفلات أبدًا ..
وقفز (شارك) و(ليون) كل إلى سيّارته ، وانطلقت السيّارات الثلاث خلف سيّارة (أدهم) و(منى) فى مطاردة شرسة ..
مطاردة لاتنتهى إلّا بالموت ..
الموت وحده ..

* * *

١٢ ـــ المطاردة القاتلة ..

ضغط (أدهم) دوّاسة الوقود بكل ما يملك من قوة ، حتى لقد كادت قدمه تخترق أرضيّة السيّارة ، وهو ينطلق بها فى سرعة ومهارة ، وخلفه السيّارات الثلاث ، التى يقودها (شارك) و(ليون) و(سونيا) ، الذين أثبتوا أنهم لايقلّون عنه مهارةً وجُرْأةً ..
وبدأ الوقود يتناقص فى سرعة فى سيّارة (أدهم) ، وراقب هو مؤشر الوقود وهو ينخفض فى حركة متسارعة ، فعقد حاجبيه ، وهو يقول لـ (منى) فى هدوء :
ـــ يبدو أن المطاردة لن تستمر طويلًا ياعزيزتى ، فلقد أصاب هؤلاء الأوغاد خزّان الوقود ، ولن تواصل هذه السيّارة سيْرَها لأكثر من عشر دقائق .
غمغمت فى حَنَق :
ـــ ولقد فقدنا مسدّسيْنا .
ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :
ـــ علينا إذن أن نستغل الدقائق العشر فى اختيار ساحة القتال التى تناسبنا ، حينما ينتهى الوقود .
وانحرف بحركة مفاجئة ، أثارت ارتباك مطارديه ، وانطلق

نحو المنطقة الجبليّة ، وغمغمت (سونيا) فى سخط ، وهى تنحرف خلفه :
ـــ لقد اخترت الجبال أيُّها الشّيطان ، وسأجعلها قبرًا لك .
وبدون اتّفاق سابق ، وكأنما تمّ الأمر عن طريق تخاطر عقلىّ فائق ، تجاورت السيّارات المطارِدة الثلاث وهى تنطلق خلف (أدهم) ، ثم انفصلت سيّارة (شارك) من اليمين ، وانطلقت فى طريق جانبىّ وسط الجبال ، وانفصلت سيّارة (ليون) من اليسار ، واتخذت طريقًا فرعيًّا آخر ، فى حين واصلت (سونيا) انطلاقها خلف سيّارة (أدهم) تمامًا .
وفى نفس المنطقة التى سلّم (أدهم) فيها نفسه لـ (سونيا) ، مقابل حياة (قدرى) ، التقت السيّارات الثلاث ، فى محاولة لتطويق سيّارة (أدهم) ..
ولقد كانت محاولة بارعة بالفعل ..
لقد فوجئ (أدهم) بسيّارة (ليون) تبرز من الطريق الفرعىّ ، وتعترض طريق سيّارته على بعد أمتار قليلة ، ورأى سيّارة (شارك) تنطلق نحو منتصف سيّارته من الجانب الأيمن ، عَبْرَ الطريق الجانبىّ ، فى حين تسرع سيارة (سونيا) من خلفه ..
وفى حركة واحدة .. وبنفس ذلك التوافق الإجرامىّ

العجيب ، انتزع المطاردون الثلاثة مسدَّساتهم ، وانطلقت رصاصاتهم نحو بؤرة واحدة ..

نحو سيَّارة (أدهم) و(منى) ..

★ ★ ★

كان المطاردون الثلاثة قد أحكموا الحِصَار ، وكان ثلاثتهم يجيدون التصويب فى مهارة وحُنكة ، إلَّا أن (أدهم) ضغط كابحة سيارته فى رفق وسرعة ، لتخفض السيَّارة من سرعتها قليلًا ، ثم دفع (منى) إلى أسفل ، وخفض رأسه وهو يدير عجلة القيادة إلى اليمين ، فى نفس اللحظة التى اخترقت فيها رصاصة (سونيا) الزجاج الخلفىّ للسيَّارة ، ومرقت على ارتفاع سنتيمتر واحد من رأس (أدهم) ، لتعبُر النافذة المجاورة له ، وحطَّمت رصاصة (شارك) النافذة المجاورة لـ(منى) ، واستقرَّت فى جسم السيَّارة من الداخل ، وعَبَرَت رصاصة (ليون) الزجاج الأمامىّ ، وهشمته ليتناثر فى قطع صغيرة فوق رأسى (أدهم) و(منى) ، قبل أن تنفذ من الزجاج الخلفى ، أو ما تبقى منه ..

وهتفت (منى) فى جزع :

ـــ لقد حاصرونا .

صاح بها (أدهم) ، وهو يعيد عجلة قيادة سيَّارته إلى موضعها الأوَّل ، ويندفع بها نحو سيَّارة (ليون) :

ـــ إنهم لم يتركوا لنا مجالًا للاختيار .. اقفزى يا(منى) .

دفعت (منى) باب السيَّارة المجاور لها ، وألقت جسدها خارجها ، وهى تحمى وجهها بذراعيها ، فى حين ضغط (أدهم) دوَّاسة الوقود فى قوَّة ، وهو يواصل انطلاقه نحو سيَّارة (ليون) ، الذى صاح فى ذُعْر :

ـــ ماذا يفعل هذا المجنون ؟

وحاول أن يطلق رصاصة أخرى ، ولكنه رأى فى رُعْب (أدهم) يقفز خارج السيَّارة ، ورأى السيَّارة تندفع نحوه كوحش كاسر ، فأسرع يحاول الفرار بسيَّارته ، وهو يَصْرُخ فى ذُعْر :

ـــ كلَّا .. كلَّا .. إنه .....

وقبل أن تكمل عبارته ، ارتطمت به سيارة (أدهم) فى قُوَّة ، وانقلبت السيَّارتان فى دَوِىّ هائل ، واشتعلت فيهما النيران ..

وأعلن القدر مصرع (ليون) ..

★ ★ ★

ضغطت (سونيا) (فرامل) كمَّاحة سيَّارتها فى قوَّة ،



ارتطمت به سيارة (أدهم) فى قُوَّة ، وانقلبت السيَّارتان فى دَوِىّ هائل ، واشتعلت فيهما النيران ..

فانحرفت بها السيَّارة فى حركة حادَّة ، قبل أن تتوقَّف وسط سحابة من الغُبَار ، وقفزت منها (سونيا) فى غضب ، وهى تلوِّح بكفِّها أمام وجهها ، محاولةً إزاحة سحب الغُبَار التى أحاطت بها ، وهى تنقِّل بصرها فى حَنَق بين (أدهم) الذى انطلق يَعْدُو مبتعدًا نحو تلّ قريب ، و(منى) التى أسرعت تتسلَّق جانب مرتفع صخرىّ من الناحية المقابلة ..

وبلا تردُّد التفتت (سونيا) نحو (أدهم) ، وصوَّبت إليه مسدَّسها ، وأطلقت النار ، إلَّا أن رصاصتها ضاعت فى الهواء ، حينما قفز (أدهم) خلف التلّ ، واختفى فى لمح البصر ، فى نفس اللحظة التى اختفت فيها (منى) خلف صخور المرتفع الصخرى .

وتوقَّفت سيَّارة (شارك) إلى جوار سيَّارة (سونيا)، وقفز هو منها كخرتيت ضخم، وصاح وهو يلوِّح بمسدَّسه فى هياج:

ـــ ذلك الشيْطان قتل (ليون) .. سأقتله .. سأقتله ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى كلها .

التفتت إليه (سونيا) فى توتُّر ، وساد الصمت بينهما لحظة قصيرة ، انعكست على وجهيهما خلالها أضواء النيران المتراقصة ، التى تشتعل فى سيَّارتى (أدهم) و (ليون) ، ثم

عقدت (سونيا) حاجبيها فى تفكير استغرق منها جزءًا من الثانية ، قبل أن تشير بمسدسها إلى التلّ الذى اختفى خلفه (أدهم) ، وتقول فى همس :

ــ إنه يختفى هناك .

كشّر (شارك) عن أنيابه الحادّة ، الشبيهة بأسنان أسماك القرش ، وهو يغمغم فى خفوت وشراسة :

ــ لن ينجو منّى هذه المرّة .

ثم تحرّك فى خِفّة تتعارض مع ضخامة جسده ، نحو التلّ ، فى حين أدارت (سونيا) عينيها إلى حيث تختفى (منى) ، وغمغمت فى شراسة :

ــ أنا وحدى أعلم كيف يمكن هزيمة (أدهم صبرى) أيها الثور .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة وحشية خبيثة ..

★ ★ ★

تحرّك (أدهم) فى خِفّة خلف التلّ ، وغمغم فى سخرية ، وهو يلتقط صخرة كبيرة :

ــ من المؤسف أن ضياع مسدّسى يضطرّنى للقتال معك على طريقة رجال العصر الحجرىّ يامستر (شارك) .

وتحرّك فى حذر ومرونة نحو الجانب الآخر للتلّ ، وهو يحمل الصخرة الكبيرة ، واختلس النظر إلى حيث تقف سيّارتا (سونيا) و(شارك) ، ثم عقد حاجبيه وهو يتمتم فى شكّ :

ــ أينَ ذهَبا ؟!.. تُرى هل تمكّنت (منى) من الاختباء ؟

وفجأة .. انقضّ (شارك) بجسده الضخم على (أدهم) من الخلف ، وطوّق وسطه وذراعيه بذراع ضخمة كالفولاذ ، وأحاط عنقه بذراعه الأخرى ، واعتصره فى قوّة وغضب ، وهو يصرخ فى جُنون :

ــ لقد قتلت (ليون) ، وستدفع الثمن ..

وعلى الرغم من قوّة (أدهم) ، إلّا أنه شعر بذراع (شارك) تعتصر عنقه فى ضغط هائل ، وكأنه (ونش) متحرّك ، ثم أدرك فجأة تلك الصلة بين اسم (شارك) وأسلوبه ، حينما غرس (شارك) أسنانه الحادّة فى عنقه ، وهو يصرخ فى جنون :

ــ سأقتلك .. سأقتلك .

★ ★ ★

١٣ ــ الختام ..

لم يكن (شارك) شخصًا عاديًا ، ولم يقع عليه اختيار (فرانك جوردان) عبثًا ، فلقد حَبَته الطبيعة منذ حداثته بقوّة خارقة ، تفُوق أقرانه من البشر ، وبطباع وحشيّة شرسة ، وملامح قاسية ، جعلته أقرب إلى الحيوانات المفترسة منه إلى البشر ..

ولقد أدرك (أدهم) هذا .. وهو يحاول عبثًا التملُّص من تلك الذراع التى تحيط بوسطه وذراعيه ككلّابة من الصُّلب ، ويشعر بضغط الذراع الأخرى على عنقه ، وبحاجته الشديدة إلى الهواء ، وبالآلام المبرّحة التى سبّبتها أسنان (شارك) الحادّة ، وهى تغوص فى عنقه ، وتُسيلُ دماءَه ..

ولكن كل ذلك لم يفتّ من عضد (أدهم) ، ولم ينتزع منه قدرته على تقييم الأمور ، وحسن مواجهتها ..

وفى حركة سريعة ، وأداء مذهل رائع ، ثنى (أدهم) ركبته اليمنى ، ورفع ساقه إلى أعلى ، ثم رفعها إلى الخلف بكلّ ما يملك من قُوّة ، ليصيب (شارك) بين ساقيه ..

وتأوّه (شارك) من ألم ، وانتزعت تأوُّهاته أسنانه من عُنُق (أدهم) ، وجعلت ذراعيه تتراخيان لجزء يسير من الثانية ..

وفى هذا الجزء اليسير فعل (أدهم) كل شىء ..

لقد حرّر ذراعيه فى حركة مرنة سريعة ، وشبّك أصابع كفّيْه ليضمّ قبضتيه فى كتلة واحدة ، ورفع ذراعيه إلى أعلى ، وثنى ساعديه إلى الخلف ، وهوَى بقبضتيه المضمومتين على رأس (شارك) كالقنبلة ..

وتأوّه (شارك) فى ألم هائل ، وتراخت ذراعاه لحظة ، ولكنه لم يفقد الوَعْىَ ، إلّا أن هذه اللحظة جعلت (أدهم) ينزلق من قبضته فى خِفّة ، ويقفز مبتعدًا عنه ، ثم يستدير لمواجهته ، وهو يشعر بالدماء الدافئة تسيل من جراح عنقه ، وتلوّث قميصه وسترته ..

ولكنه لم يبال ، فقد كان يواجه خصمه هذه المرّة وجهًا لوجه ..

وكشّر (شارك) عن أنيابه فى غضب متضاعف ، وهو يصرخ :

ــ سأقتلك .. سأقتلك .

وانقضّ كوحشٍ كاسر على (أدهم) ..

وقفز (أدهم) جانبًا ، متفاديًا انقضاضة (شارك) ، ثم أطلق قبضته فى قوّة نحو أنف هذا الأخير ، وأعقبها بلكمة كالقنبلة فى فكّه ..

كانت كل من اللكمتين بقبضتى (أدهم) الفولاذيتين كافية لإفقادِ ثَوْرٍ وَعْيَه ، إلّا أن (شارك) أطلق خوارًا ساخطًا ، وترنّح لحظة ، ثم عاد يواجه (أدهم) بمزيد من الوحشيّة والشّراسة ..

وأدرك (أدهم) — حينئذ — أن قتاله مع (شارك) لن يُحسَم إلا بنهاية واحدة .. الموت ..

وانقضَّ (شارك) هذه المرّة وهو يحمل الموت فى ذراعيه، وقبضتيه، وملامحه، وقد وصل هياجه إلى ذروته، وانطلقت قبضته نحو وجه (أدهم)، وهو ينوى تحطيمه تمامًا ..

وغاص (أدهم) فى سرعة، وتفادى لكمة (شارك) الساحقة، ثم انتصب كالبرق، وأطلق قبضته التى لا تفشل أبدًا ..

وتفجّرت قبضة (رجل المستحيل) فى حنجرة (شارك)، الذى جحظت عيناه، وتراجع وهو يترنّح فى قوّة، وأمسك عنقه بكفّيه وهو يشهق، محاولًا دفع بعض الهواء عَبْرَ حنجرته المحطّمة، ثم ارتسم بُغضٌ هائل فى ملامحه، ومدّ ذراعه وكأنه يحاول اقتناص (أدهم)، إلا أن شهقاته المتوالية تحوّلت فجأة إلى شهقة قويّة عالية، وتحجّرت عيناه لحظة، ثم سقط عند قدمَىْ (أدهم) جُثّةً هامدة ..

وأخذ (أدهم) يلهث فى عمق، وهو يتطلّع إلى جثة (شارك)، ثم انحنى يغلق عينيه المتحجّرتين، وهو يغمغم فى أسف:

— لقد أجبرتنى على ذلك أيها الوغد، إننى أكره الـ .....

وقبل أن تكمل عبارته، دوّى صوت (سونيا)، وهى تقول فى انفعال ظافر :

— لقد ظفرت بزميلتك يا (أدهم) .. استسلم أو أطلق النار على رأسها .. سأمهلك نصف دقيقة فحسب، ولن أكرّر إنذارى هذا .

* * *

شعرت (منى) بحنق هائل فى أعماقها ؛ لأنها سمحت لـ (سونيا) بمباغتتها مرّة أخرى، وجعلت من نفسها نقطة ضعف لـ (أدهم صبرى)، فغمغمت فى مرارة :

— إنه لن يستسلم .

صاحت بها (سونيا) فى هياج :

— صَهْ وإلا أطلقت النار على رأسك .

كادت (منى) تتفوّه بعبارة حادّة، حينما ارتفع صوت (أدهم) يقول فى هدوء :

— لا حاجة بكِ لذلك يا (سونيا) .. هأنذا .

التفتت (منى) و(سونيا) فى آن واحد إلى حيث يقف (أدهم)، الذى بدا كواحد من أبطال الأساطير الإغريقية، وهو يقف شامخًا فوق التلّ، ونيران السيّارتين المشتعلتين تلقى على جسده ووجهه ظلالًا متراقصة مخيفة ..

وأدارت (سونيا) فُوَّهة مسدّسها إليه، وهى تقول فى انفعال:



التفتت (منى) و(سونيا) فى آن واحد إلى حيث يقف (أدهم)، الذى بدا كواحد من أبطال الأساطير الإغريقية ..

— أخيرًا يا (أدهم صبرى) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية وهدوء، وهو يقول :

— أخيرًا ماذا ياعزيزتى (سونيا) ؟.. لقد سئمت سماع هذه العبارة المكرّرة منك .

جذبت (سونيا) إبرة مسدّسها، وهى تقول فى حِدّة :

— اطمئنّ يا (أدهم) .. إنك لن تسمعها مرّة أخرى .

وصوّبت مسدّسها إلى رأسه، وهى تقول :

— إنها نهايتك هذه المرّة .

وفجأة .. دوّى انفجار هائل فى المنطقة، فقد وصلت النيران إلى خزّان وقود سيّارة (ليون) ..

* * *

سيمضى وقت طويل قبل أن تتغلّب (سونيا) على ذلك الذهول، الذى أصابها فى تلك الليلة، التى تصوّرت فيها أنها ستظفر بـ (رجل المستحيل) ..

لقد دوّى الانفجار فجأة، وجعل (سونيا) تتراجع إلى الخلف خطوة واحدة، وهى تحمى وجهها بذراعيها، ولكنها عندما خفضت ذراعيها، وجدت (أدهم) على بعد متر واحد منها ..

لقد كانت المسافة التى تفصل التلّ عن المرتفع الصخرىّ تصل إلى خمسة أمتار، وكان من المستحيل أن يقطعها رجل فى

ثانية واحدة ، ولكن (أدهم) كان دَوْمًا ذلك الرجل القادر على قهر المستحيل ، والذى يحمل ذلك اللَّقَب المنفرِد وسط عمالقة المخابرات فى العالم أجمع ..

لقب (رجل المستحيل) ..

وعقدت المفاجأة المُذْهِلَة لِسان (سونيا) ، وشلَّت أطرافها لجزء من الثانية ، كان يكفى لأن يطيح (أدهم) بمسدَّسها بركلة واحدة ، ثم يلتقطه فى الهواء بقفزة رائعة ، ويصوِّبه إلى (سونيا) ، التى وقفت تحدِّق فيه لحظة فى ذهول ، ثم انخرطت فى بكاء حار ..

ونهضت (منى) فى ذهول ، غير مصدِّقة لما رأت عيناها ، فى حين قال (أدهم) فى هدوء لا يحمل أدنى أثر للسخرية :

ـــ كم تبدين أقرب إلى الأنوثة حينما تبكين يا (سونيا) ؟

ظلَّت (سونيا) تبكى فى قَهْر ومَذَلَّة ، وهى تخفى وجهها براحتيها ، فى حين واصل (أدهم) حديثه ، قائلًا :

ـــ إنك تُضيعين وقتك ومهاراتك هباءً فى محاولاتك المستميتة للتخلُّص منِّى يا (سونيا) ، وهذا يصيبنى بالضَّجَر والسَّأم ، ولقد فشلت فشلًا ذريعًا فى هذه المرَّة أيضًا ، كما اعتدنا فى قتالنا معًا .

ارتفع صوت بكاء (سونيا) فى مرارة ، واستطرد (أدهم) فى هدوء :

ـــ هل تعلمين أنه فى هذه اللحظة بالذات ، يقتحم رجال الشرطة فيلَّا (فرانك) ؟ وسيجدون فيها عشرات الأدلَّة ، التى تثبت تورُّطه فى عمليَّات تهريب وتجارة المخدِّرات .. وأن زميلنا (سمير) قد أطلق سراح (فرانك) و (راشيل) منذ دقائق ، طبقًا للخطَّة الموضوعة ، حتى يلقى رجال الشرطة فى (هاواى) القبض عليهما .

هتفت (سونيا) من وسط دموعها فى ألم :

ـــ أنت شيْطان .

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وهزَّ كتفيه وهو يقول :

ـــ آه لو تعلمين كم أكره هذا اللَّقَب يا (سونيا) ، فديانتى تجعلُنى أومن بأن الشَّياطينَ مخلوقات بغيضة شِرِّيرَة ، لا تسْعَى إلَّا للدَّمار والخراب ..

ثم أمسك بكفِّ (منى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ هيَّا بنا ياعزيزتى .. سنعود إلى القاهرة .

صاحت (سونيا) فى غضب ومرارة :

ـــ إنَّك لن تغادر هذه الجزيرة حيًّا .

ابتسم فى سُخْرِيَة ، وهو يقول :

ـــ فات وقت التبجُّح ياعزيزتى (سونيا) .. إننا سننطلق على الفَوْر إلى المطار ، وسينتظرنا (سمير) هناك ، وهو يحمل تذاكر السَّفَر والجوازات ، وسنفسد سيارتك قبل رحيلنا فى

سيَّارة (شارك) ، وسيكون عليك قطع المسافة من هنا إلى قلب الجزيرة سيرًا على الأقدام ، وأعتقد أن ذلك سيستغرق وقتًا طويلًا .

أجهشت (سونيا) بالبكاء مرَّة أخرى ، وهى تهتف فى انهيار :

ـــ سأقتلك يومًا ما يا (أدهم) .. سأقتلك يومًا ما .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ فلنترك ذلك للقدر ياعزيزتى (سونيا) .

ووقفت (سونيا) تبكى فى مرارة ، وهى تتابع ببصرها (أدهم) و (منى) ، وهما يُفسِدان سيَّارتها ، ويركبان سيَّارة (شارك) ، ليبتعدا بها فى سرعة ، واستعاد ذهنها تلك اللحظة التى تصوَّرت فيها أنها قد نجحت فى (إعدام بطل) ، وتحوَّلت دموع الهزيمة فى عينيها إلى حُمَم تُحرق وجهها ، وشعرت بمرارة الهزيمة فى حَلْقها ، فعادت تردِّد فى صوْت مختنِق :

ـــ أُقْسِمُ أنْ أقتلك يومًا ما يا (أدهم صبرى) ..

وخُيِّل إليها أن جزيرة (هاواى) كلَّها تردِّد ضحكة ظافرة ساخرة ..

ضحكة (رجل المستحيل) ..

[تمت بحمد الله]



رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :